جورج

دموع عذراء

كارنيك جورج

892.78
G348dA
C.1

دموع عذراء

قصص

مطبعة الرشيد — بغداد

الصور الفنية بريشة المؤلف
العناوين من خط ابو نبيل
لا يجوز نقل اي قصة او صورة الا بأذن من المؤلف

حيوان هو الذي يفكر أنا
لا أخذ من هذه الزباله
تصور ... أرضي ويدو يكتب
... عني ...
ويشوط بالكتب !!

الاهداء

الى الاستاذ ابراهيم ابو الفتوح الرجل الذى كنت له تلميذاً فعاملنى كصديق وارشدنى كأخ .

ارفع كتابى هذا

كارنيك جورج

المقدمة

للاستاذ ابراهيم ابو الفتوح

كارنيك جورج

عرفته تلميذاً هادئاً في درسه لا يظهر له صوت ، ولا يرتفع له جواب ، ولا تصدر منه زلات الأطفال التي تصدر من كبار التلاميذ . فاذا بدأت ألقي درسي تابعني بعينيه فاظن انه يفهم ما اقول ويعي ما اتفوه به .. حتى كان يوم غاب فيه نجم سعده القيت عليه سؤالا تافهاً فاذا بالحيرة تعقل لسانه فلا يجيب .. هنالك عرفت انه كان يحلم .. عرفت انه كان يوهمني بعينيه انه جد منصت لما اقول واع لما أعالج .. لم يشفع لهذا الغلام عندي شي سوى تفوقه الواضح في الانشاء وطريقته البارعة في الرسم فقد كان عملاقاً في صفه في هاتين المادتين .. ومضى من العام شهور وشاءت ادارة المدرسة ان اقوم باخراج رواية للمدرسة فناديت في جموع الطلاب ليوافيني عشاق التمثيل .. واذا بكارنيك يسعى الي مبكراً غير ان المتقدمين قليلون فقد كان الطلاب ينظرون الى التمثيل في هذا العهد الغريب نظرتهم الى بدعة لا يليق باولاد الناس ان ينحطوا اليها . فاضطررت الى ارتياد صفوف المدرسة اخطب وأحاضر وأرغي وأزبد .. واغوي الطلاب بفرقة التمثيل ولكني كنت انفخ في رماد .. واضرب في حديد بارد .. فلم ار بداً من الاستعانة بادارة المدرسة لارغام التلاميذ الذين اتوسم فيهم الخير على الاذعان وقدكان .

وبدأنا نعالج امر روايتنا وليس المجال بمتسع لحديث عما لقيناه في هذا السبيل من عنت وجهد .. لأن الحديث يتعلق فقط بهذا الأرمني الحالم ..

لمست في هذا الشاب استعداداً طيباً وفهماً لما طلب منه آداؤه ، فكان دعامة عملنا الأولى .

واذكر انه طلب مني ان ابدي رأيي فيه في نهاية العام ، فكتبت ما يأتي :

« فنان هائم يتلمس بدائع الكون ، ويتيه في آفاق الوجود » .

وروح حائر تقتله تلك الأضواء التي تلوح في الافق البعيد ...

انه يسعى ورائها ويحاول لمسها .. ولكن هيهات .

تلميذ .. أبعد الناس عن درسه .. لأنه لا يطيق ان تصدفه تلك القواعد الجامدة والمعلومات الجافة عن معانيه السامية ومثله الجميلة ..

... مسكين أنت يا بني

انا أشفق عليك من الحياة . انا اعطف عليك لأني عشت يوماً ما كما تعيش الآن ، وبنيت يوماً قصوراً على الرمال .. غير ان عواصف الزمن القاسية ، بددت ما بنيت ، وأحاطت بما شيدت ..

ولكن لا بأس .. مع ذلك .. ولتلق ما تلاقيه ، غير ان سعادتك لن تكون الا في خيالاتك السابحة وتحليقاتك البعيدة .

كارنيك جورج تلميذ .. طيب القلب .. صافي السريرة ، مخلص شديد الاخلاص .. مؤمن شديد الايمان ، يعتمد على الصديق ولا يخشى شره كعدو .. لأنه لا يعرف العداء ، وفقت يا بني » .

وانقطعت الصلة بيني وبينه عدة سنوات كنت القاه عرضاً في احد نوادي بغداد واذكر أنه عرض علي منذ عامين كراسة كتب فيها بعض القصص بقلمه .. وطلب مني رأيي فيها .. فقلت له : انها بواكير تبشر بالخير واستهلال يطمأن الى مستقبل ناجح في هذا السبيل .. ولم يمض على ذلك عامان حتى طالعني البريد يحمل كتابه الاول «سهاد البريئة» . وهكذا صدقت نبوءتي عنه .

لم يتملكني العجب إذ وجدت في يدي كتاباً لتلميذي في الصف الأول منذ خمس سنوات .. فقد كنت اعلم حق العلم ان هذا الصبي يحمل بين جنبيه عاطفة زاخرة وحساً دقيقاً لا بد ان يكون شيئاً يوماً ما وكنت ارى في عينيه تعشقاً للفن وشغفاً شديدين فطالما فاجأته منصرفاً عن درسه غارقاً في كتاب أدبي أو قصة شيقة وكان هذا حدثاً غريباً لطالب في الصف الاول المتوسط . تصفحت تلك الأقاصيص التي نسجها خيال هذا الارمني الأديب فاذا بها شيء يمكن ان نقول معه ونحن مطمئنون إننا ظافرون بكاتب قصة جديد يمكن ان يمثل مركزه بين ادباء القصة في العالم قريباً .

إقرأ لهذا الشاب فستجد لوناً جديداً لهميزاته للبتكرة وستجده يتناول المجتمع البغدادي الشرقي فيترجم عنه ترجمة فيها صدق وصراحة وفيها جراة وفيهاسخرية لاذعة.. وستلمح في قصصه هذا الحرمان الذي تلفح ناره شباب الشرق وهذا الشوق الذي يلتمع في تلك العيون الثاقبة وهذا النداء الحار للجنس الآخر وستعيش في احلامه هنيهات .. ثم تعود معه في النهاية لتعلم انك كنت تجد في السعي وراء سراب ..

ان هذه القصص التي نسجتها مخيلة اديبنا الناشيء تعبير صادق وتنفيس عن تلك القلوب التي صهرها الحرمان ولوعتها هذه الحوائط السميكة من التقاليد .. وبعد فاني اقدم الى قراء العربية هذا الاديب الناشيء والفنان المخلص لفنه عساه يجد من ابناء وطنه وابناء العربية من يقرأ له .. فما أحوج أدباء العراق الى التشجيع واولى الناس بتشجيعهم ابناء العراق .. فكم من زهرات مثله تتفتح ممتلئة بالحياة . زاخرة بالمعاني ولكنها لا تجد من يعيرها اهتماماً فسرعان ما تذبل وتذوى . ولكني اعتقد ان في هذا الشاب من عوامل الحياة والنبوغ ما يتحدى عوامل اليأس التي تعتري كثيراً من أدباء العراق الناشئين وإلا لما أقدم على اخراج كتيبه الثاني بعد ان لم يمض على صدور مجموعته الاولى سوى شهور.. انه يعرف جيداً طريقه.. ويعرف ان فنه يحمل معه عوامل بقائه واسرار نجاحه ..

فكم من شباب نزل الى الميدان يملؤه الأمل ويزجيه الرجاء ولكنه ما كاد يصطدم بالواقع حتى تخاذلت قواه واضطرب قلمه في يده .. وينكص على عقبيه .. يائساً .. فلقد تعود العراق ان يعيش في زاده الأدبي على زاد غيره .. فالعراق يقرأ لغير العراقيين ويعجب بنتاج أدباء البلاد العربية اما كتابه وادبائه .. فيندر ان تجد من يسمع لهم او يقرأ نتاجهم .

لست أدري من المسؤول عن هذه الجناية التي كادت تصيب هذه البلاد بحظ من القناعة والرضا لا يناسب نهضتها الحاضرة . حتى أجد كثيراً من شباب العراق يصرحون ان العراق سماؤه أديباً يستحق ان يقرأ له .. وأمثال هؤلاء مخدوعون واهمون .. أو عديمو الايمان والثقة بكل ما ينبث في هذه البلاد .. ولعل الانسان كثيراً ما تغيب عليه مزاياه ويظهر ان العراق لا يعرف قدر نفسه كما ان شبابه لا يعرف قدر هذه البلاد وأدبائها. وانا كغريب عن هذه البلاد عاش فيها عدة سنوات أقرر في غير مصانعة ولا رياء ان شباب هذه البلاد وخاصة الجيل الحاضر من الشباب يحمل بين جنبيه كل اسباب النهوض .. ويعرف جيداً هدفه في ميادين الحياة المختلفة . وخاصة نواحي الآداب والفنون .. ففي دواوين شعراء الجيل من الشباب تجديد يزخر بمعان لم يعرفها الشعر العربي وتحرر من قيود الماضي وفي اقاصيص ادباء القصة الوان جديدة جديرة بالرعاية والتشجيع لتؤدي رسالتها وخاصة خارج تخوم العراق فما احوج البلاد العربية الى هذه الالوان النابضة بالحياة .

وأعود الى اديبنا الذي نقدم له فآخذ عليه بعض الضعف في الاسلوب الذي لا يناسب معانيه للزدحمة الحية وحبذا لو أقبل على القراءة لأقطاب الأدب وقادته .. انه ولا شك مستكمل اداته ان فعل . ومع هذا فنحن نلتمس له العذر وهو يخطو خطواته الاولى في ميدان القصة .. انه سيقدم لنا ولا شك في المستقبل ما يرضي اذواقنا ويثير اعجابنا .

بغداد في اول كانون الثاني سنة ١٩٤٩

ابراهيم ابو الفتوح

ذات السيارة الحمراء

لبيت دعوة اصدقائي ، وذهبت وإياهم نزولا على رغبتهم في ذلك ليس غير . فانا لا اعرف اي نوع من أنواع الرقص سواء كان شرقياً او غربياً فكيف بي اذا ذهبت الى حفلة غربية راقصة ؟. لقد طالعني هناك جو فاتن وطريف ، جو تلتمع فيه الصدور المكشوفة ، والظهور العارية ، والنحور السافرة .. فتمتزج العطور بالعطور ، والأنفاس بالأنفاس . كما تمتزج النفوس بالنفوس عندما تصدع للوسيقى بانغامها .. فتمتلىء الصالة بالراقصين من الفتيان والفتيات ، وقد التف كل فتى منهم بفتاة حسناء كأنها وردة لم تتفتح عن براعمها الا قبل هنيهة! . وجلسنا الى احدى الموائد لكن انظاري ظلت مبهوتة مذهولة ، تنتقل في ارجاء المكان ولا تستقر الا على جسد مغر او وجه جميل .

هذه سمراء ممتلئة الجسم ، في ثغرها اشواق ، وفي عينها أحلام . وتلك بيضاء ، ذات فتنة ناضجة ، تأبى النظرة العابرة ان تفاقها بسرعة ، وتلك شقراء مرحة فرحة ، ذات صدر قد تعرى حتى نصفه ، فاذا بخليج نهديها يغري العيون ويسلب العقول .! ماذا ارى ؟ أليس هنا امرأة قبيحة ؟ ترى هل الحفلة مقصورة على الجميلات الساحرات ؟؟ اذن فهذا معرض للفتنة وسوق للجمال السافر العاري ، ومرتع للحب وللهوى ، قبل ان يكون حفلة غربية راقصة ..

فما ان ترتفع أنغام للوسيقى ، حتى يسرع الشبان كل يبحث عن رفيقة له ! وقع عليها اختياره في فترة الاستراحة ! ويتقدم بكل جرأة وثبات ، فيقف امامها ثم ينحني مهمهماً بكلمات لا اتبينها ، تقوم الفتاة على اثرها

فيأخذها الفتى الى حلبة الرقص، حيث تلتقي الصدور بالصدور وتمتزج الانفاس بالأنفاس ..

ورأيت بعض الشبان يأبى الا ان يلامس فتاته بكل جسده . كأنما هو يخشى عليها الافلات ، او كأنه يحاول ان يطفي بهذا العناق ما في صدره من هوى او غرام .. والبعض الآخر يترك بينها وبينه بعض الفراغ ! ولكن على ان يلاقي احد نهديها المرتفعين صدره ـ كلما دار بها ـ بلمسة خاطفة عابثة .. بينما الآخر لا يلتفت الى هذه الأشياء فيترك المسافة بينه وبينها كيفما اتفق .. غير انه لا يكف عن التحديق فى وجه فتاته .. بل فى عينيها . بل في أعماق نظراتها .. فتبادله هى بنفس التحديق! فاذا هما هائمان باجنحة للوسيقى فى سماء الحب الصافي العذب .. ولا انس اني رأيت جماعة اخرى من الشبان يرقص الواحد منهم دون ان يلتفت الى فتاته ، ودون ان ينظر اليها ، ودون ان يحاول الاقتراب منها .. فهو يرقص ونظراته فى اوجه الجالسين ، كأنما هو يبحث له عن أليف .. آخر !. وكذلك هي الفتاة فانها لا تقل بعداً بنفسها وفكرها عن الفتى الذي ترقص وإياه ، وهؤلاء اما ان يكونوا أخوين! واما ان يكونوا اقرباء ! واما ان يكون بين الاثنين . تنافر وتباعد .. او حياء وخجل.. او صد وجفاء . واما ان يكونوا من اولئك الفارغين ـ قلباً وعقلا ـ الذين لا يعرفون ان هناك شيأ اسمه الحب !

أخذت انظر الى هذه الصور وسرعان ما شعرت بالغيرة والحسد. تجاه هؤلاء المتمتعين بلذة الحياة، الغارقين فى نعيمها، بينما انا اراقبهم فأتحسر وسرعان ما قام احد اصدقائي وانتقى له فتاة واخذ يراقصها ، وتبعه زميل آخر .. فآخر . واذ بي اجلس وحيداً الى هذه المائدة . انظر حولى فلا اجد بين الجالسين سواي من الشبان .. لا اجد الا العاجزين من الرجال والنساء ، الذين قد ودعوا الشباب منذ زمن بعيد .. بينما انا ، لا زلت شاباً بل شاباً محروماً من هذه المتعة البريئة وما زلت فى مكاني لم ابرحه ، كأي واحد من

هؤلاء الطاعنين في السن ! وماذا استطيع ان افعل وانا لا اجيد الرقص ؟

وانتهت الرقصة وعلا التصفيق ، عاد بعده ازواج الراقصين كل الى مائدته . وفى هذه الأثناء .. دخل القاعة رجل كبير العمر ، غير ان نظراتي سرعان ما شلت حركتها عليه . وعلت الى وجهي على الاثر ـ حرارة واحمرار ! اذ كان هذا الرجل بصحبة حمامة !! حمامة من تلك الحمامات النادرة شكلا وجمالا ! من تلك الحمامات اللواتي اذا ما رأيتهن كف قلبك عن الخفقان ، وشل عقلك عن التفكير ، وتقدما يشقان طريقهما الى مائدة خاصة ، كانت قد اعدت لهما ..

كيف أصف لك يا صديقي حالتي في تلك الساعة ؟ كيف أبين لك شعوري تجاهها ؟ لقد ظهرت لى كفكرة تائهة سرعان ما وجدت طريقها الي فتجسمت !! او كنغمة سارحة كنت ابحث عنها فلا اجدها ... وسرعان ما رن صداها رائعاً مثيراً في ارجاء نفس !! نعم يا صديقي ، لقد كنت ابحث عنها .. عن هذه المرأة ! فقد خلقتها بنفسي ، في فكري ، واودعتها كل ما اردت من جمال ، وكل ما استطعت من لطف وعذوبة .. غير اني لم اجدها حقيقة امامي الا في تلك اللحظة ، في شخص هذه الفتاة المجهولة عنى باصلها ، المعروفة عندي بشخصها .

كانت ذات عيون لا تتوصل الى اعماقها ولو نظرت فيها طول عمرك ! فى لونها الخمري جاذبية تأسر النظرات ، وعذوبة تغري العيون . في جمال شفتيها موسيقى حية نابضة ، لا تفهم ، الا اذ انطلقت من اسر الجسد ! وحلقت بفكرك متسامياً على اجنحة الحب العذري ، ورأيت العالم كله بمنظار العاطفة السامية . كان جسمها رائع القسمات ! في اعلى صدرها نهدان صغيران .. يفصحان بكل معاني الانوثة الناضجة .. كانت ترتدي ثوباً ابيضاً . ذا صدر وردي ، بدت فيه كأحدى عرائس الخيال ، التي لا نعتقد بوجودها حقيقة فى ارضنا هذه .. لم تنظر الي ، ولم تنظر الى احد غيري

اذ انها عرفت بمكانتها فى النفوس ، وادركت ان من كانت من صنف للملائكة يجب ان تترفع عن النظر الى هؤلاء الآدميين .. وجلست .. ومن حسن الحظ ، كان وجهها نحوي ، فكنت لا اكف عن النظر اليها .. دون ان اخشى هذا الذي كان معها . اذ كان قد ترك لى ظهره وانصرف اليها غير اني مع ذلك بقيت ذلك الشارد الواله ، الذي لا يتوانى فى ان يضحي بنصف عمره ، لقاء نظرة واحدة ـ ولو عابرة من عينيها ..!

كان اصدقائي لا يفتأون يتحدثون ، عن هذه وتلك ، عن التانكو والرومبا ، وهم منغمرون فى فيض من المرح يتندرون ويتفكهون ، وانا اراقبهم ببلاهة .. كاني لست واياهم على مائدة واحدة .. او كأني لم آتى الى هذا المكان بدعوة منهم .. لأن افكاري كانت بعيدة عنهم ، وعن احاديثهم ، فقد تركتني حائراً ، وذهبت تحوم حولها ، وتتنسم عطرها والحق اني كنت احاول جهدي اخفاء الامر عن اصدقائي ، كنت احاول ان استأثر بهذا الشعور الجميل العذب وحدي ، اذ انها كانت جديدة على حديثة عندي ، لم اشعر بمثلها من قبل . وهكذا كان ، اذا انصرفت عنهم الى تأملاتي وغبت عن هذا الجو الصاخب محلقاً فى اجواء الخيال والأحلام وكان اصدقائي منصرفين الى الرقص فلم ينتبهوا الي .

آه يا صديقي علك فهمت من كتابي مبلغ اعجابى بهذا الجو الفريد ، (قبل مجيء ـ فتاة الحلم ـ) وبما فيه من نساء فاتنات ، عاريات الصدور فاعلم ـ رعاك الله ـ ان ذلك الاعجاب ، قد تولى ، وتلاشى ، واضمحل ، بمجرد دخول هذه الغادة الحسناء ! اجل فقد بهرت بحسنها كل هذه الانوار المنبعثة من الصدور والنحور ، أما رأيت النجوم في ليلة ظلماء ! اما تمتعت بمنظرها وبلألأها ؟ فوجدتها اجمل مما كنت تظن واحلى مما كنت تتصور؟ والحق انها كانت كذلك فالنجمة ـ اية نجمة كانت ـ تبدو ساحرة فاتنة اذا كان الليل مظلماً لم ينوره سناء القمر . اما اذا لاح القمر ، واخذ

يرتفع عن الافق ، بتمهل وبطيء وهو يرسل نوره ساحرا الى اطراف السماء ، وعلى وجه الارض . وجدت النجوم تتلاشى ، وانوارها تخبو ، وتضمحل ، بل وتفنى .. ولا تعود شيئاً يذكر ازاء نور القمر الباهر .. أما رأيت هذا المنظر ؟ ألم تجده كما وصفتا ؟. اذن فاعلم انى اعجبت بنجوم تلك الليلة الاعجاب كله ، واحببتها الحب كله ، بل تأسفت على عمري الضائع ، الذي مر علي دون ان امتع نفسي برؤيتها .. ولكن ! كان هذا قبل ان يلوح القمر ، وقبل ان يرتفع عن الافق ، بتمهل وبطيء ، وقبل ان يرسل نوره ساحراً الى اطرف السماء وعلى وجه الارض ، كان كل هذا قبل ان تظهر هذه الفتاة ـ فتاة الاحلام !!

اما بعدما ظهرت ..؟؟.

* * *

وارتفعت نغمات للموسيقي ، وقام الرجل الذي كان يصحبها ، وقامت هي فتقدما نحو حلبة الرقص .. ترى ما صلة هذا الرجل بهـا ؟. يستحيل ان يكون خطيباً . فانها فتاة في ميعة الشباب . بل زهرة فى فجر الربيع فلا يعقل ان يكون هذا الرجل للسن خطيبها .. فمن هو ؟ ونظرت حولى فلم اجدسوى واحدمن اصحابى ،فقد قام الباقون للرقص ،فسألته مشيراً اليهما

— ترى من يكون هذا الرجل ؟

— لا أعرفه . ولكنه ابوها . ابو هذه الفتاة التي يرقص وإياها . فسكت ولم اسأل سؤالا سؤالا آخر ، وما حاجتى الى سؤال آخر بعد ان عرفت ما اريد ؟

ونظرت اليه ، بل اليها .. وكانت تبتسم ولكنها لم تكن تنظر الي . على كثرة ما يدور بها ! وحدث ان اقتربا من مائدتي ذات مرة ، ولكن سرعان ما ابتعدا ، ولم يتركا لى الا عطرها ... الذي ادار راسي وهز قلبي فاذا بدمعة تطفر من عينى !. لا تضحك يا صديقى ، فقد طفرت

الدمعة دون ان ادري بها ، بل دون ان اعلم سرها ..

وفي الرقصة التالية تقدم احد الشبان ، وانحنى امامها ، فقامت ! آنذاك شعرت بتفاهة قيمتي ، وقيمة نفسي ، ازاء هذا المنافس الأنيق. الوقح ! لا اكتمك اني أحسست بغيرة شديدة نحوه . وما عتمت هذه الغيرة ان استحالت الى غضب وكره شديدين ، عندما رأيته يحدثها . رباه ما هو نصيبي منها .؟ أأبقى هكذا بعيداً ، ولها في نفسي أقدس عاطفة وأعذب حنين ؟ وهكذا ظللت فريسة لهذه الأفكار ، انظر الى فتاة الأحلام بين اللحظة واللحظة فاحس بالنار تستعر فى قلبي عند كل لحظة ! فلا ادري ماذا افعل ! الى ان قامت وتبعها ابوها للذهاب ، فلم اترك الفرصة تفوتني ، لم يكن ثمة شخص سواي على المائدة ففارقتها . متبعاً خطواتهما ، كانت تسير بخطوات رشيقة متزنة ، كلها فتنة واعتزاز ، ماذا اقول لك ؟ انها ذات فتنة نادرة . فتنة قد لا يوجد نظيرها فى شخص امرأة اخرى ، وخرجا وانا خلفهما ، فرأيت قرب الباب سيارة حمراء صغيرة أنيقة ، تنتظرهما! وسرعان ما أخذت هي محلها امام عجلة القيادة ، وجلس ابوها بجانبها ، ثم سارت السيارة ، قبل ان افعل شيئاً ما . غير ان عيني ـ من حسن الحظ ـ قرأتا رقم السيارة . وما ان رددته مرة اخرى ، حتى حفظته الذاكرة عن ظهر قلب ، ومع ذلك فقد سجلتها خوفاً عليه من النسيان .

سكت صاحبي فقلت ـ اتم .

— التتمة فى الرسالة الثانية .

— وهل هناك رسالة ثانية ؟

— اجل !

واخرج من جيبه بضعة اوراق اخرى وهو يقول :

لقد عثرت عليها قبل ايام بين اوراقي وكتبي ، فاحببت ان اقرأها لك ، بعد ان جعلتها على شكل قصة . لقد مرت على هذه الحادثة سنة كاملة . ففي

مثل هذا الشهر من السنة الماضية ، عندما كنت خارج بغداد ، وصلتني الرسالة الثانية ، فاذا بها اخطر مما تصورت !

— اقرأها اذن

وبسط صاحبي الرسالة ، وأخذ يقرأ ..

— لقد صادفتها .. بل صادفت سيارتها الحمراء ، التي كانت قد أسلمت زمامها الى يديها الدقيقتين . لم ارها الا بلمحة خاطفة من نافذة السيارة ، ولكن هذه اللمحة الخاطفة كانت كافية لأن تبعث الى قلبي بعض الخفقات .. نعم يا صديقي لقد تأثرت عند هذه اللمحة السريعة ! اذ كنت بعد تلك الحفلة أشعر بفراغ ووحشة لا ادري سببها . وكان طيفها يلوح في مخيلتي كلما استسلمت الى الصمت والى التأمل ، فاذا بي أحس بلذة وعذوبة ، بل أحس بشوق وحنين تجاه هذا الطيف المحبوب . ولكن اللذة هذه ما عتمت ان أخذت في الزوال على مر الايام ، ـ إذ لم يعد فكري يصور لي تلك اللحظات التي رأيتها فيها ـ وحل محلها ألم ممض وحنين مؤلم ، كلما حاولت ان أتذكر تلك الحفلة وتلك الوجوه التي رأيتها فيها .

وعندما لمحتها ، بدت لي كحلم يتجسد ، بل كذكرى حبيبة غالية تعود الى نفسي ، لذا فقد تأثرت . وكانت هذه اللمحة كافية لأن تزودني بتلك اللذة المنشودة ، وبذلك الحنين للرجعى ، ولا اكتمك اني بدأت بعد ذلك اليوم في تتبع موعد الحفلات الغربية الراقصة ، والذهاب اليها ، علها تأتي . غير ان الجميلة لم تكن تأتي ..

انها ثرية ! وابنة ثري ، فما انا بالنسبة لها ؟ شيء تافه لا يستحق ان تلقي اليه اقل التفات ، ولا ان تخصه باي شعور ، فماذا ارجو منها ، لا شيء سوى هذه اللذة الفائقة في العذوبة . وسوى هذه الأحلام التي تجعل لحياتي طعماً ولروحي نشوة . وتملأ علي فكري ونفسي ، ولا اعود فارغاً ملولا من هذه الايام المتعاقبة المتشابهة ، اجل ، انها أدخلت في روحاً

جعلني أنظر الى الحياة بمنظار غير الذى كنت انظر اليها منه ، وصرت اجد بعض السعادة في هذه الأحلام التي يسمونها بـ (أحلام اليقظة) هذه التى تراود مخيلتي كثيراً ، وتحلق بفكرى بعيداً ، وتجعلني أنسى آلام هذه الحياه ومصائبها الحقيرة التافهة ، لأحلق فى عالم الخيال مع تلك الفتاة الجميلة التى يستحيل علي ان اتصل بها فى عالم الواقع .

افأتصور هذه الفتاة للكتملة الأنوثة والجمال ، تسير بصحبتى بين الزهور والرياحين ، بينما الطيور لا تكف عن التغريد ، وبينما الفراشات تأبى إلا أن تتبع خطانا ، وبينما النسمات تسري رخية معطرة بانفاس الزهور . فتحوم حولنا بوله وشغف ، ونحن سكوت! نحلم بمستقبل مشرق لامع يتراءى لنا كلما تلاقت عيوننا ، وذابت نظراتنا فى بعضها .!

وذات يوم وجدت السيارة الحمراء قرب قصر فخم جديد من تلك القصور التي تعلن بان صاحبها من اصحاب الرصيد الضخم فى البنوك فمر بذهنى خاطر عابر : أيمكن ان يكون هذا قصرها ؟.

ووجدتني اقف بعيداً . أترقب ، ترى لماذا ؟. وبعد زمن طويل انفتح الباب وخرجت فتاة ، وتبعتها فتاة اخرى ، كانت .. هي !. آنذاك هزتني رجفة عنيفة ، فاذا بدمي يتدفق الى وجهي حاراً .. وفتحت باب السيارة لرفيقتها ثم استدارت ودخلت من الباب الثاني ، واخذت محلها امام عجلة القيادة .. وكنت مذهولا فى تلك اللحظة ارقب الموقف في شغف شديد كأنما هو موقف اكثر من ان يكون من للواقف البسيطة العادية . وسارت السيارة ، متجهة نحوي .. فاستدرت واخذت اسير . ولم اجد في نفسي القدرة الكافية للوقوف ومواجهة انظارها ، ومرت من جانبى مبتعدة ، غير انها كانت تحمل فوق ما تحمل ، روحي واشواقى وكل افكاري آنذاك قلت فى نفسي (اجل ! هذا هو الحب !)

كيف اصل اليها ؟ انا البائس التافه وهي الغنية للترفة ؟ ان من كانت

تسكن هذا القصر ، وتقود هذه السيارة ، لا تلتفت الى انسان مثلي . ليس له من حطام الدنيا ـ ما يمكنه ان يسعدها به ـ سوى هذا القلب ، وسوى هذا الحب !ولكن هل بالحب وحده اتمكن ان اعيش وإياها ؟ ـ اذ ما حدث للستحيل ـ واستمعت الي وقنعت بي . زوجاً !؟ وهل للحب قيمة فى هذا الزمن الذي لا يعبد الى الدينار ، ولا يدين الا بالذهب ؟. كلا ! اذ افعلي ان اجد ،ان اكافح ، ان اناضل فى سبيل هذا القلب ، ان اردت له الحياة ، فما الحب الا باعث الى العمل ، دافع نحو الكفاح والنضال ، فهذه الآمال ، وهذه الاحلام ، بل وهذا الحنين الجارف العميق ، بوسعه ان يمدنى بالقوة والعزيمة والقدرة ، على تحمل كل للصاعب والاهوال ! لقد ادركت لماذا كنت عاطلا يائساً من الحياة ، لاني كنت اعيش بلا حب ، اي بلا رغبة في الحياة ، لذا بقيت عالة على الحياة لكي ازعجها لانها ازعجتني ، ولكي انتقم منها لانها انتقمت مني ، اما الآن ؟ فلا اريد الا ان افرحها لانها افرحتنى ، والا ان احظي برضاها واحيا في كنفها اكبر مدة ممكنة ، لانها بعثت بالامل الى قلبي اليائس ثم لأننى .. أحببت !

وهكذا وصلنا البيت ، فاستوقفتني امى متسائلة عن سر تغيري ، لانى كنت مستبشراً ، اصفر بفمي ، فاجبت امى بانى سأ كافح .. سأترك اليأس والخمول سأكون عظيماً . سأكون غنياً ذا شأن .

ووجدت لى عملا ، واخذت اعمل بعزيمة وقوة .

غير اني اليوم . اجل في هذا اليوم بالذات ، ماتت هذه العزيمة ، وتلاشت هذه القوة ، وادركت اني لا أسير الا وراء سراب خادع . ذلك لأني لمحت السيارة الحمراء تحتضن شاباً !! كان يجلس بجوارها . ووصل الى مسمعي اصوات ضحكاتهما . فوجدتني اقف كالرخام البارد ، الذي لا حس فيه ولا شعور . ثم اخذت ابكي ـ ايها الصديق ـ ابكي هذه الحال للؤلمة المحزنة . فبينما نحن نحاول ان نكون شيئاً لنتوجه الى هذه الزهرة

مرفوعي الرأس ، نرى غيرنا قد تقدم الى تلك الزهرة ، واخذ يشم اريجها دون اية محاولة او تعب .. لأنه كان شيئاً !

لقد انهارت آمالي كلها ، دفعة واحدة ، فاذا بي ذلك الانسان اليائس الناقم على الحياة وامورها .. ـ رباه كيف ليائس مثلي ان يصل اليها ؟ ـ وقبل ان تنخلص آخر احرف هذه الكلمات من بين شفتي .. لاحت في ذهني فكرة ! فكرة لا احسبها الا الجواب الناجح ، الذي الهمني اياه هذا الرب الكريم . هذه الفكرة التي يجب ان يسعى اليها كل من كان في موقفي .. كل من كان لا شيء واراد الحصول على شيء ، كل من كان فقيراً واحب فتاة غنية ..

والفكرة هذه هي ارمي بنفسي امامها . امام سيارتها الحمراء الرشيقة ! ان ارمي نفسي فجأة كي لا تتمكن من ان تتفادى اصطدامي ، اذ ان هذه السيارة الرشيقة ، لا تقوى الا على اذى طفيف يلحق بي . فينكسر ساقي ، او ينكسر ذراعي ، او تصيبني بعض الجروح والرضوض . وبعد ذلك تأخذني هي ، وتحملني في سيارتها ، في سيارتها الحمراء ، وتأخذني الى بيتها لتداوي جروحي ، وتواسيني في مصابي . وقبل كل شيء تعتذر وترجوني ان لا افضحها ، أن لا اخبر رجال الأمن عن الحادثة ، لأنها ـ وهي الثرية الناعمة ـ تخشى ان تتلوث سمعتها ، وتخاف ان تنزل من القصر الفخم لتقف في قفص الاتهام . لذا فاني سأعدها بذلك ، أعدها بما تطلب وبما تريد ، لكنما على شرط ! ان تقبلني زوجاً لها ! فانها هي التي شوهتني ، فهي التي يجب ان تتحمل تبعة هذا التشويه ، غير انني سأجتهد في ان لا أكشف الأمر وان لا أذيعه ، واجتهد في ان أنال ثقتها . انها ليست قاسية الى هذا الحد ! ليست متكبرة الى هذه الدرجه ، سترحمني وستعطف علي ، اول الامر . انا العاجز المصاب الذي اخذته الى بيتها . وما ان تطيب مني الجروح ، حتى تكون هذه الرحمة وهذا العطف ، قد استحالا الى حب والى غرام .. انسان حالم .

اني يا صديقي اذ ارسل لك هذه الرسالة اليوم ، اخبرك باني سأنفذ هذه الفكرة صباح الغد ، عند ذهابها الى الكنيسة . فالغد هو الاحد كما تعلم .. سأنفذها دون خوف ، ودون وجل ، لانها هي الفكرة الصائبة التي كان يجب ان توافيني من قبل ..

***

وسكت صاحبي ثانية ، وبقيت انا انتظر ان يتلو على الرسالة الاخرى ، ولكنه اخذ يطوي اوراق الرسالتين ببطء وتأن ويعيد كلا منهما الى مظروفها ، ثم يضعها في جيبه . ونفذ بعض صبري فقلت :

مالك ؟ الا تتلو الرسالة الاخرى ؟.

— ليست هناك رسالة اخرى .

— وكيف ؟.

— كانت الصدمة قوية ، اكثر مما قدر .. فسابته الحياة !

احلام مراهقة

— ماذا وراءك ؟.

— اشياء كثيرة اود ان اطلعك عليها .

وكنت احس بيده ترتعش من شدة التأثر .وهي تمسك بذراعي وتقودني الى ناحية منعزلة من ساحة للدرسة ، كأن من اولئك المعجبين بانفسهم فوق حدود الاعجاب ، فاذا بهم سخفاء الكلام ، بلداء الفكر ، لايرجى منهم نفع . لذا فقد كان موضع سخرية باقي التلاميذ ، يؤلفون عليه النكات ويلفقون عنه الحوادث للضحكة . كان يدعي فريداً ، غير اننا كنا ندعوه بـ « الفريد» وهذا الالف واللام للتشهير به ، لكونه من اصحاب المراكز للمتازة في تلك للدرسة . لذا فقد انكمش هذا الفريد واتصف بمعنى اسمه ، اذ انفرد بنفسه وباعجابه بنفسه عن الآخرين من التلاميذ ! غير ان ذلك الانفراد لم يطقه ، ولم يقدر عليه ، فهو في حاجة الى شخص يصغي الى ثرثرته ويعلل نظر الفتيات اليه . ويكسب شخصيته الفذه صبغة اروع من صبغته ، انه في حاجة الى من يبادله الحديث . ويناشده النصح ، وبالاخص في للغامرات الغرامية .. حيث كان له ـ كما يقول ـ صولات وجولات موفقة اذ كان من فرط اعجابه بنفسه يحسب كل نظرة من امرأة نظرة حب وكل بسمة يراها في عرض الطريق على شفتي فتاة بسمة اعجاب له ولشخصيته الفريدة !.

كان يريد زميلا يشاركه عواطفه ، وافكاره ، وآراءه ، فكان ان

وقع اختياره علي انا ! اذ كنت ادافع عنه في كل حديث يأتي ذكره ، وكنت انصحه بالابتعاد عن هؤلاء المتطفلين العابثين . والاعتزال بعيداً عنهم . كنت افعل ذلك لاني كنت أشعر بالشفقة والعطف عليه ، فان امثال هذا الفتى مساكين ! هم اهل لكل عطف ، وشفقة ، لأنهم يسيرون بلا تروٍ ، وبلا ارادة ، وقلوبهم مكشوفة جلية . للرائح والغادي ، ولو بحثت في نفوسهم لما وجدت غير الطيبة . وغير الاخلاص فهم كالاطفال البسطاء ، وهذا الفريد ما هو الا طفل ! طفل كبير ، لا يرى الحياة الا كما يراها الطفل ولا يجد المتعة الا كما يجدها الصغير ! اي عن طريق احساسه وعن طريق شعوره الباطني الخاص . كأنما هو وحده الحي وهو وحده الجدير بهذه الدنيا وبهذه الحياة!

لذا فقد تقرب الي ، واتخذني زميلا له ، حدث هذا عندما جاء ذكره مرة واخذ احد التلاميذ يقص على الآخرين حادثة مضحكة . نسبها الى الفريد ! وهي انه تتبع ذات مرة امرأة من هؤلاء النساء اللواتي هن كالرجال ضخامة وقوة وشجاعة . وما ان دخلت الى احدى الحارات ، حتى تقدم منها الفريد وسار بقربها ، وهو يلقي في مسامعها عبارات الحب والاطراء .. غير ان المرأة لم تجبه . فتشجع وزاد في الكلام وما ان وصلا الى ناحية بعيدة من تلك الحارة « ناحية منعزلة عن المارين » حتى استدارت المرأة اليه ، ونزعت حذائها « النايلون » وانهالت عليه ضرباً ! بينما راح يصرخ ويستغيث وليس من سامع ولا من مغيث !

وما ان وصل المتحدث الى هنا حتى انفجر المستمعون ضاحكين .. وبعد ذلك اخذ كل منهم يعلق على القصة كيفما شاء واراد ، غير اني انزعجت عند سماع هذا التحقير وهذا التشنيع ، على زميل يقاسمنا الدرس . فاخذت ادافع عنه ، وأكذب هذه الحادثة ، وبينما انا متحمس في الكلام ، شعرت بيد تربت على ظهري فالتفت فاذا به الفريد ! ينظر الي بعيون تنطق بالشكر والامتنان ! ورجاني ان اكف عن دفاعي .. ففعلت !ومنذ ذلك اليوم ،

اخذ يتقرب الي ويشاركني في اسراره ومغامراته ، فاذا به عاشق متيم ! يهوى فتاة تمر صباح كل يوم امام المدرسة .. وأراني اياها ذات مرة . فكانت تلميذة ايضاً وكان طريقها الى المدرسة امام مدرستنا ، لم تكن جميلة ولم تكن جذابة ، ولم تكن اهلا لأي التفات . ولا ادري لماذا استحقت منه كل هذا الحب ، وعرفت بعد ذلك ان بشاعة هذه الفتاة هي السبب الرئيسي في سخرية التلاميذ للفريد ، آنذاك اعطيتهم بعض الحق ! اذ ان من يعشق مثل هذه الفتاة ، بل مثل هذا القبح جدير بكل سخرية وبكل تشنيع وبكل شيء ! غير انها مع ذلك ، مع بشاعتها ، لم تكن تحبه ! ولم تكن تهتم به او تلتفت اليه ! غير انه كان يلاحقها دائماً دون ان يلين قلبها ودون ان تشفق هذه القبيحة او ترحم !

ولما انتحى بي في زاوية منعزلة قال :

— ايها الصديق الوفي الا تقسم ؟ الا تقسم لي بانك لن تخبر احداً بما اقوله لك ؟.

فاجبته بتعجب :

— أهكذا فقدت ثقتك بي ؟

— لا .. لا سمح الله ، ولكن الامر مهم اكثر مما تتصور ، فلا اريد أحداً يعرفه غيرنا .

— ماذا ما الخبر .؟

فلم يرض ان يجيب كان مع ثقته في يخشاني غير اني طمأنته على حفظي هذا السر الكبير وبعد ان اقتنع قال :

— .... رسالة !

— رسالة ؟ ممن ؟!

فاجاب وقد احمر وجهه قليلا :

— من ... منها .!

— سلوى ؟.

فهز رأسه ان نعم فتعجبت لهذا الخبر ولم اصدقه بادى الأمر . فما الذي حدا بتلك القبيحة للمتنعة ان تكتب له رسالة ؟ غير انه اخرج لى من جيبه ورقة من اوراق الكراسات للدرسية . وتردد فى اعطائها لى وأقترح ان يقرأها هو ، غير انى طمأنته على أمانتي وعلى اخلاصي ، فلم يجد بداً من تقديمها الي فاذا بها هذه الاسطر :

حبيبي ... فريد .

لا اقدر ان اصف شدة حبي لك ، ووجدي عليك ، فكلما مررت من امام مدرستك ، رأيتك واقفاً بقامتك الفارعة ، وجسمك الرشيق . وهندامك الشيق .. تتطلع الي بوجهك الجميل ، وتبتسم بشفتيك اللتين لا اتمنى الا لحظة تتلاقي فيها مع شفتي ، فى قبلة طويلة حارة .!

أقول اني كلما مررت بك ، شعرت بقوة خفية تجذبنى نحوك ، وبرعشة قوية تسري فى بدني . ذلك لأني احبك ! احبك يا فريد !! واحب فيك الشاب الجميل ، والتلميذ النشيط ، ويعلم الله كم انا اسهر الليالى فاناجي طيفك الماثل أمامي ، بالحسرات والزفرات الطويلة ، التي لا تنتهي الا بدموع غزيرة ، تنهمر من عيني فتبلل وسادتي .. آه يا حبيبي ! لكم اتمنى ان اختطف من شفتيك الجميلتين قبلة حارة طويلة تطفىء بحرارتها نار ضلوعي وجمرة فؤادي ، ولكم أتمنى ان القاك ، فالتف بك وتعانقني عناقاً طويلا .. تتكسر ضلوعي على اثره .. ولكن هل ستتحقق هذه الأماني ، وهل يحن قلبك نحوي ، فتشفق علي ولا تتركني أتألم كما انا الآن ؟.

آه يا حبيبي الرشيق جداً ، هل لي ان اطلب منك شيئاً واحداً وارجو ان تحققه ؟. هو ان تنتظرني امام سينما (...) في الساعة السادسة والنصف من مساء اليوم .

تعال يا حبيبي العزيز ولا تكن قاسياً معي ، فاني أكاد اذوب حباً

لك ، كما تذوب الشمعة المشتعلة .

وتقبل اخلص قبلاتي :

المخلصة الى الأبد

(ف ...)

فرأت هذه الرسالة بسرعة ، فالدهشة والاستغراب لم يتركا لي مجالا للثاني . ولكني بعد ان انتهيت من قرائتها ، عدت فالقيت عليها نظرة أخرى لاتأكد من صحة ما قرأت اذ ان هذا الفريد لا يستحق مثل هذه الرسالة ، ولا مثل هذا الحب الجارف ، ثم فان تلك المعبودة القبيحة ، يستحيل ان تكون صادقة فى رسالتها اذ انها لا تبدي الا الجفاء والصدود لهذا الفريد المسكين ! لا بد ان هناك سراً فما هو هذا السر ، غير انى ما ان القيت نظرة اخرى على التوقيع حتى انكشف لى كل شيء فسألته :

— عمن هذه الرسالة ؟.

فاجاب وهو ينظر الي باستغراب !

— منها .. من سلوى .

— لا ليست هذه الرسالة من سلوى ، اذ ان الرسالة موقعة بحرف (ف) واين هذا الحرف من اسم سلوى ؟

وسكت الفريد برهة يفكر فيما قلت ، غير انه لم يقتنع بصحة كلامي فأجاب :

— هذا خطأ طفيف .

فأجبته بحدة :

— انها ليست منها ! ثم فلا احد يخطىء في توقيعه .

وقال بعد سكوت قصير :

— لو لم تكن منها ، فمن هى كاتبة الرسالة ؟.

— ألا توجد سواها ؟

وكانت هذه الكلمة مما يرضي غروره واعجابه بنفسه ، فأنا اضعه في موضع لا يتمنى هو سواه ولا يطلب غيره ، اجعله بهذه الكلمة موضع حب واعجاب فتيات كثيرات عديدات . وبعد برهة قال :

— لو فرضنا انك على حق ، فمن هي (ف) هذه ؟

— تسألني عنها ؟ انت صاحبها ورفيقها وحبيبها وهي الوالهة بحبك ، التي تكاد تذوب حباً لك . وغراماً بك ، أيمكن ان تتجاهلها هكذا ؟.

— لا والله ، انا لا اعرف ابداً فتاة يبدأ اسمها بهذا الحرف .

عند ذاك عز علي ان أرى هذا الفريد ، رغم اعتماده علي ورغم اخلاصي له ودفاعي عنه ، يحاول ان يخفي عني أمر هذه الفتاة . غير اني قلت في نفسي ربما هو على حق ، ربما هي من تلك الفتيات اللواتي يخفين غرامهن في قلوبهن ولا يقوين على البوح به ، بل ولا يبدين للحبيب ، اي اعجاب ، واي ميل ، فمن اين له ان يعرفها ؟ غير اني عدت فقلت . وربما كانت هذه الفتاة هي نفسها سلوى وقد أبدلت اسمها لغاية في نفسها ولفكرة تخفيها .. ثم التفت اليه وقلت :

— طيب ، ستعرف الحقيقة في الساعة السادسة والنصف .

— وكيف ؟

— أنسيت للوعد ؟ أنسيت ما في الرسالة ؟

— ولكن ! أخشى ان تخونني الشجاعة !

— لا ! هذا كثير ، هذا كثير جداً ، فهل هناك رجل يخشى مقابلة امرأة ؟

— ذاك حق ولكني لا اخشى مقابلة امرأة سواها ! هل تتفضل بمرافقتي ؟

آنذاك تفطر قلبي ألماً عليه ، فهو اذاً يخشاها بالرغم من انه يحبها ويهواها . فاردف هو :

— لا اريد منك الا ان تمدني بالشجاعة والاقدام حتى باب السينما فهل من مانع ؟

ولفظ الكلمة الاخيرة وهو ينظر الي ، فاذا في عينيه شيء يلتمع فاجبته قائلا :

— لا مانع عندي .

وذهبنا الى السينما وحجز الفريد مقصورة خاصة فيها ، لكي يكونا بعيدين عن العيون وعن الظنون ، ليكلمها ويغازلها ويقبلها ، دون ان تكون هناك عيون ترى ، وآذان تسمع . اذ ان مقصورات السينما خير وكر للغرام في يومنا هذا ! فأينما ذهب المحبون كانوا معرضين للانظار . في الشوارع في الحدائق في المنتزهات البعيدة ، في كل مكان ! ثم إن هذه الاماكن قد تكلف المحب غالياً . وقد تكلفه صعوبات كثيرة ، وقد ينتج منها اشياء كثيرة .. كمصادفة قريب او صديق او اخ لهذه الفتاة .. وهنا تكون المعركة . أما في مقصورات السينما فليس ثمة صديق او قريب يمكنه ان يرى شيئاً ، ثم فان هذا الوكر هو من أرخص الأماكن الغرامية ، التي لا تقضي الا على جزء يسير من مالية المحب ! لذا فاننا نجد المحبين ! قد لاذوا بمقاصير السينمات ، وتمسكوا بها واختفوا بين جدرانها عن العيون والظنون ..

وانتبهت من افكاري على صوت يذوب رقة ودلالا :

— انا اهي !

ورفعت رأسي فاذا بها تسير مبتعدة عنا بتمهل ، وكانت تلبس عباءة سوداء وتحجب وجهها بنقاب اسود كثيف . ادركت عندما رأيتها انها هي . سلوى ! تحاول بهذا النقاب الكثيف ان تستر بشاعتها عن العيون ! فابتسمت في سري ، ونظرت الى صاحبي الفريد ، فاذا به حائر لا يدري ماذا يفعل ينظر الي ببلاهة . كانما هو ينتظر مني كلمة الرضى ، او للوافقة او اي كلمة

يبدأ بعدها هجومه . فلم أتركه ينتظر طويلا . بل شددت على يده مشجعاً ومتمنياً له احلى اللحظات . ففارقني وسار خلفها .. وكنت ارى في مشيته كل علائم الخوف والارتباك .

وهممت بالرجوع . وما ان خطوت خطوتين . حتى ظهرت امامي جماعة من تلامذه للمدرسة ، يلوح على وجوههم الغبطة والانشراح فأدركت انهم قد رأوني بصحبة الفريد ، فاخذوا يعلقون عليه وربما علي ايضاً . فشعرت ببعض الاشمئزاز منهم ، وحاولت الافلات من انظارهم ، غير ان احدهم قال منادياً اياي :

— مالك تتهرب ! ألم تقرأ الرسالة ؟

— اي رسالة ؟

واجاب آخر :

— لا تنكر . قل الصحيح .

قلت في نفسي لا بد وانه هو الذي قد اخبرهم عنها ، بعد ان رجاني ان لا اخبرهم . فياله من فريد ؟ وقلت :

— ومن ادراكم بامرها ؟

وانطلقت ضحكة عابثة من زميل آخر ، فيها كل معاني الخبث والسخرية وتبعت ضحكته ضحكات الآخرين ، فبقيت انا انظر اليهم ولا افهم شيئاً .

فقلت :

— وما سبب الضحك ؟

فاجابني احدهم

— لأن الرسالة ايها الصديق منا !

— منكم انتم ؟ ماذا تعني ؟

— نحن كاتبوها ، لقد اردنا ان نرميه في مأزق ضيق لكي يكف عن الاعجاب بنفسه .

فتعجبت لهذا القول ، وكدت اصدقه لذلك الاختلاف الذي طرأ على اسمها . اذ انهم لم يكونوا يعرفون اسمها الحقيقي ، ولكنى عندما فكرت فى تلك التي تقدمت وقالت « انا هي » كذبت هذا القول .

— لنفرض انكم قد كتبتم الرسالة ، فمن هي هذه المرأة ؟ ما ادراها به ؟ وبرسالته ؟ فكيف جاءت ان لم تكن هي كاتبة الرسالة ، ولو فرضنا انكم حاولتم رميه فى مأزق ضيق ، فان الحظ حالفه وخالفكم . حيث وضعكم فى المأزق بدلا منه ، ولم اكد اتم كلامى هذا . حتى تعالت ضحكاتهم ثم قال احدهم

— أتعني هذه المرأة ؟

— نعم

— انها ليست امرأة ايها المسكين ! بل هي رجل ! هو فوزي ، زميلنا في الصف الا تعرفه ؟ انه هو وقد تنكر فى ثياب امرأة .

سطوة العاجز

رسالة شاعر

لما صادفتك أول مرة ، وجدت فيك الروح التي تستطيع أن تفهمني ولمست فيك القلب الذي بامكانه ان يسكب في دمي أسمى عاطفة واخلد شعور .. لمحت فيك الجمال الذي كنت أنشده ، والأنوثة التي كنت احلم بها ، وكان ذلك اول يوم اتيت فيه الى المعهد ، لتسجلي اسمك بين اسماء طلابه ! وعندما كنت راجعاً الى البيت ، كنت أنت في نفس السيارة التي ركبتها .. فاستولت علي الحيرة ، الحيرة الممزوجة بالنشوة .. فاخذت افكر ، فيك ! ترى ما لون عينيك ؟ وهل سأعرفه فيما بعد ؟ ترى ما هو لون نظرتك تحوي ـ عندما لمحتني ـ أنا التائه في عالم الخيال ؟ انا المتعشق الشعر والفن ، المتيم بالحلم والوهم !. أدريت باني شاعر مسكين ؟ أخطر ببالك اني سانظم قصيدة اصف فيها جمالك الخالد ، وابوح فيها بحبك السامى ؟. لقد كانت افكاري تحوم حولك بوله شديد ! فهل عرفت روحي ـ في تلك اللحظة ـ روحك؟ ترى أكنا حمامتين متحابتين قبل الف الف عام ؟ نغرد على دوحة وارفة الظلال ؟؟.

لم انتبه الى نفسي الا عندما ابصرتك تنزلين من السيارة ، دون ان تلقي الي ولو بنظرة خاطفة ! وكان اليوم التالى . فركبت السيارة العامة ذاهباً الى المعهد ، وكنت أنت فى نفس السيارة ايضاً .. فاضطربت عندما لمحتك ؟ نعم اضطربت كثيراً .. وهناك فى المعهد طلبت مني ان اشرح لك منهج الدراسة .. ومن العبث ان اصف ذلك الشعور الذي غمرني وانا اتحدث اليك .. لانه كان شعوراً غريباً في نوعه عميقاً فى معناه .. وعندما اتممت كلامي ، لاحظتك تطرقين الى الأرض وقد احمر وجهك الجميل قليلا ! وذهبت الى فصلي وذهبت انت الى فصلك .. حتى حان وقت الرجوع ،

فغادرت للمعهد دون ان التقي بك ! وبينما انا اهم بدخول السيارة ، لمحتك ! كنت جالسة فيها ! فخفق قلبي آنذاك كثيراً ، خفقات لم أعهدها من قبل . وصعد الدم حاراً الى وجهي .

— تفضل ! هنا !

قلت هذا وتخليت لى عن محل كان بجانبك ، فجلست! وكلي شعر عذب وقعته يد الحب على وتر الفؤاد ، لقد كدت اذوب من فرط السعادة التي شعرت بها فى تلك اللحظة ! غير اني بقيت ساكناً ، فدنوت انت منى متسائلة

— كم الساعة الآن من فضلك ؟

فاجبتك وقد امتقع لوني واضطربت الكلمات في فمي :

— السابعة . السابعة والربع .

فابتسمت شاكرة . وتحادثنا كثيراً بعد هذا . حديثاً بسيطاً عادياً . يشوبه الخجل من كلينا . فطلبت مني ان ارافقك في العودة . كل يوم ! فانت تخشين من الرجوع وحدك في مثل هذه الساعة . ووعدتك بذلك ، وانا اكاد اطير من فرحي . ولما افترقنا ، تذكرت انني حتى تلك الساعة ، لم أكن أعرف اسمك . كما لم تكوني تعرفين اسمي . فما اغرب صداقتنا ؟ وفى اليوم التالى سألتك عن اسمك فابتسمت قائلة :

— كاترين ! وانت ؟

فعرفتك باسمي ، وكانت صداقة . وكان هيام !!

فاحببت الوحدة والانطواء على النفس ، للتفكير فيك وفي فتنتك ! وفي سحر عينيك ، وفي تلك اللحظات التي اكون فيها معك ! ايه يا كاترين لقد فتحت لك كل نفسي ، وصارحتك بكل آمالى واحلامى . ولم يبق الا القلب الواله للسكين ! واردت أن اشكو لك امره علك تعرفين فترحمين ! فقدمت لك تلك القصيدة التى صارحتك فيها بحبي .

لم تتمكني من قرائتها — اذ كنا جالسين فى السيارة العامة — فقلت :

— اتركها عندي لاقرأها في البيت .

لم انم تلك الليلة ، فقد كنت افكر في السعادة التي سأجني ثمارها شهية عذبة . أنت الآن تقرأين قصيدتي ، للمرة تلو الاخرى .. فماذا يرتسم على محياك ؟ أرضى ؟ أم غضب ؟ أعتاب ؟ أم لوم ؟ أخجل أم حياء ؟ غير انك لما أرجعت الي القصيدة في الغد ، كان وجهك صارماً ، لا حياء فيه ولا خجل . وقلت :

— ارجو ان لا تكتب مثل هذا الشعر مرة اخرى :

آنذاك شعرت باني اكاد انهار . أكاد أفنى . ايه ياكاترين ، لكم وددت لو فقدت نصف عمري دون ان اسمع هذه الكلمات منك . غير ان قلبي كان يلح علي لأطلق سراحه . ولكني كنت اتمسك به ؛ والكلمة كانت تريد أن تنفلت من فمي غير اني كنت احبسها بين شفتي ، وبعد سكوت طويل ، وبعد جهاد لنفسي عنيف ، صارحتك بحبي ! ورجوتك ان تكوني الظل الذي اتقي به حرارة الشمس ، سألتك ان تكوني للصباح الذي ينير ظلمات حياتي ، فأبيت ! وسألتك فأبيت ! ناشدتك ان تكوني شقيقة لي . شقيقة لروحي او لنفسي او لقلبي ، فانت تعلمين باني وحيد شريد ، لا اخ لي ولا اخت ، فلتكوني انت تلك الشقيقة التي هي احب الي من شقيقة الدم فأبيت ! فلماذا ؟ لماذا ياكاترين ؟

وافترقنا تلك الليلة امر فراق ، وتصورتك حمامة كانت في يدي فاطلقت سراحها دون ان ادري ، فطارت الى غير رجعة ، وسهرت تلك الليلة ايضاً ولكن بلا امل ، بلا رجاء ، وبلا انتظار ! فما اعظم الفرق بين الليلتين ؟

وفي اليوم الثاني كنت في المعهد لا كما كنت قبلا ، كنت هائج النفس مضطرب الافكار ، واذا بك تقتربين مني وتقولين :

— أما آن وقت الانصراف ؟

فنظرت اليك ببلاهة دون ان افهم ما تقصدين ، فاجبت :

— هيا لنذهب معاً ..

قل اكرمك ياكاترين ؟ وما اصفى قلبك ؟ لو كنت انا بدلا منك لما تسامحت ابداً وفى الطريق اعتذرت لك عما حدث ، فقبلت منى الاعتذار . ولكن على ان لا اعاود الكتابة ، وعلى ان لا اكلمك عن الحب ، ولا اذكر كيف كنت فى تلك اللحظة ، والذي اذكره . هو اني قلت دون ان أعي :

— لك هذا . لك كل هذا ياكاترين .

... وهكذا ابعدت شعري وفني عن عالمك — وهل لى وجود في غير عالمك ؟ — لأنك كنت لى الشعر كله والفن كله فى هذا الوجود .

ومضت ايام .. واذا بحبك يتحول الى عبادة ! اي والله عبادة صامتة. ولكن ! ماذا افعل وماذا اقول ؟ وانا الذي قد وعدك بالسكوت عن مثل هذا النوع من الكلام . فرأيت ان من الخير لى ان ابتعد ! ان ابتعد عنك وعن محيطك هذا ! لأخفي نفسي عن عينيك النيرتين . لأبعد حبي عن قلبك . حبي الذي تحول الى عبادة . حبي الذى لا تؤمنين به ولا بوجوده . وهكذا كان !

لقد هجرت المعهد بمن فيه ، ولكنى حتى الآن ما زلت ذلك المتيم الذي اضاع نفسه وفنه فى سبيل هواك ، واتخذ منك المثل الأعلى للحب والحياة . فان تألمت لحالتي هذه وأحسست بانك كنت على خطأ . فاعلمي باني ما زلت أحمل لك فى نفسي احلام الماضي ، وما زالت في قلبي خفقات حية تتعالى كلما انغمرت فى ذكريات ذلك الماضي السعيد .

اجل ، اعلمي ياكاترين باني ما زلت انتظر ! (شاعرك المفتون)

وطوت المرأة هذه الرسالة ذات الصفحات العديدة ورفعت انظارها الى الاعلى واخذت تتأمل فى اقوال هذا الفتى الذي كانت تحس بالراحة والاطمئنان تجاهه وبعد صمت عميق انفرجت شفتاها الورديتان وقالت تحدث نفسها :

— ليته لم يكن شاعراً يعبد الأوهام !

ينقصها احساس الفنان

بين ربيع وخريف

« هذه القصة و (البحث عن الحب) و (اغراء) كتبت بطريقة جديدة فى فن الاقصوصة ، وهي ان يكون القارىء هو البطل فيها »

تعال معي .. لا بل ارسل لى افكارك وخيالك مدة من الزمن لتتأمل امرأة فى خريف حياتها .. لا تخف فليس هنا احد سواي وسواها .

حياة غريبة هذه بلا شك ! انظرها تصرخ في وجهي (اذا دخلت عليها بدون استئذان) وتقوم هائجة ترغي وتزبد .. فأقدم لها فنجان الشاي الذي طلبته قبل لحظات ، فتمسك به وترميه ارضاً ، وتحاول اللحاق بي غير اني اهرب من امامها .. فأهرب انت معي ايضاً .. فانها لو امسكتنا لفتكت بنا ولنغلق الباب خلفنا فنسمعها ما زالت تسب وتلعن ، واذا باصوات غريبة ، ما الامر ؟ انها تحطم احدى الكراسي او ترفس احدى الموائد ! لا ! لا تخف ، لقد انتهى الأمر . اين انت ؟ لماذا ابتعدت عن الباب ؟ اقترب ! لماذا ترتعد ؟ لا لا تخشى شيئاً ، فقد انتهى الأمر وهدأت العاصفة بعد ان افرغت سيدتي غضبها في اثاث الغرفة .. اسمع ، انها تبكي .. لا ليست مجنونة كما تتوهم ! ولكنها عاشقة !! ألم تر بين يديها صورة لما دخلنا عليها ؟. اجل انها عاشقة ترى من هذا هو المعشوق ؟ اني لم اره ، بل ولم ار رجلا يدخل هذا البيت منذ اشتغالى كخلاة فيه اللهم الا اخاها الصغير الذي قد تجاوز الاربعين وما زال اعزباً ! والا بعض اصحابه ، ستراهم اذا ما اقبلوا ، فستجد انهم ليسو اهلا للحب ! فهم رجال قد ودعوا ربيع العمر منذ امد طويل وسترى معهم نساءهم واطفالهم فمن هو هذا المعشوق ؟ لان انه ليس منهم . لا اكتمك انى اصبحت اشعر بشعور غريب نحوها

---

* من وحي صورة نشرت فى مجلة MODERN SCREEN الاميركية

نحو سيدتي العانس . اذ انها تحب وهي في خريف العمر بينما انا ليس لي من احب ، وانا في ربيع العمر ، لقد اكتملت انوثتي وتغيرت نظرتي الى الرجل .. فاصبحت ابحث عنه فلا اجده ، وكيف اجده في هذا المحيط الضيق الجاف ؟

ان خمر الحياة لذيذة عذبه ، ولكنا لا نشعر بلذتها الا اذا شاركنا في شربها فم آخر .. اجل يا صاحبي ، ان اللذة كل اللذة هي في ان ينهل رجل وامرأة من خمر الحياة ، في لحظة واحدة ومن كأس واحدة ... ولكنني ! وانا الظامئة الى هذه الكأس ، اين اجد لي رفيقاً لأشربها معه ، وعالمي خال من الرجال ؟.. لا ! لا تظن اني سأعرض عليك قلبي ! لا تأمل في ان اسألك ان تقاسمني كأس الحياة ! لاني وجدت ضالتي !! وجدت من اريده ان يقاسمني السعادة والهناء .. اجل لقد وجدته ! ولكن في الخيال !! انه صاحب تلك الصورة التي تتأملها سيدتي دائماً !. لا لم اره ولم اكلمه ، ولم اتصل به او اسمع عنه ، ولكني شعرت بوجوده ، واحسست بقلبه الحنون يبعث بخفقاته الحارة الأمل في قلبي !. لا تتعجب ! اذ ان هذا التصرف الشاذ من سيدتي جعلني افكر في باعثه فاذا بي اعتقد بانه رجل ! فشعرت بالغيرة من سيدتي .. واستحالت غيرتي سخطاً وحنقاً عليها ، كلما فاجأتها تنظر الى صورته .. وعلى مر الايام توطدت صداقة بريئة بيني وبينه ، ووجدت في قلبي حنيناً نحوه ، بل وشوقاً اليه . وهكذا احببته ! ولكني اريد ان اراها ، ار الصورة على الاقل فتعال نقترب مرة اخرى من الباب ، اني اتمثله بخيالي فتى جميلا ، رائع السمات ، مالي اراك تغيرت ، أتغار منه ؟ بلا شك . انه اهل لهذه الغيرة ! فما تقول عن فتى استطاع ان يأسرني ويشغل فكري بصورته بل بصورته التي لم أرها بعد ؟؟ ان هذا غريب اليس كذلك ؟ اجل اني اعلم هذا ، ولكن ! اقول لك بصراحة انه الواقع ! لاتسخر مني ، ارجوك .. فانك ايها الرجل بل انتم يا معشر الرجال لا تدرون كيف تؤثر فينا عنكم الفكرة العابرة ، والاشارة البسيطة

اننا نحبكم ! بل ونكاد نفنى في هذا الحب ! ولكن ، هو الحياء .. هو الخجل .. الذي يجعلنا نبدو امامكم كما ترون ، بل هو الكبرياء .. فالمرأة ياصاحبي لا تفهمها من كلامها ، ولا من شكلها ، ولا حتى من نظراتها وسوف تبقى (ايها الرجل) جاهلا سر المرأة ، ما دمت رجلا ولست امرأة !.

.. ان لقلب المرأة اوقات معينة ، ساعات خاصة تتفتح فيها ، فيطلب الحب ! او بالأحرى يطلب الرجل ! فاذا كان الرجل بعيداً .. في تلك اللحظة ، فيتمسك بآثاره .. او بصورته .. او بكلمته .. او باي شيء مصدره الرجل !. وانا « عندما تفتح قلبي » لم اجد الرجل ، ولم اجد اثراً له ، الا في صورة تعبدها سيدتي .. العانس .. فلم اتردد من التشبث بهذا الاثر الضئيل البعيد ..

ما لك ؟ لا تظل واقفاً ! لنقترب ، لقد شغلتك بكلام فارغ ليس هذا وقته .. هيا ، لا ! الأحسن ان نقترب من النافذة .. عسى ان تكون سيدتي تتأمل صورته .. صورة فتاي ، فتتمكن من رؤيته من خلال زجاج النافذة .. هيا اقترب ، اصمت لا تتكلم بصوت عال ! انظر اليها ، انها مستلقية على السرير ، والصورة .. الصورة .. ها ، تلك هي ، انظرها في يدها اليمنى ، وقد ضمتها الى صدرها .. بينما هي غابت في احلامها البعيدة ، وفي امانيها الغريبة .. ترى أهي مستحقة لان تفكر فيه ؟ انظر ، انها ترفع يدها .. وتتأمل الصورة .. ولكن ! ماذا بها ؟ ما امرها ؟ انها تبكي دائماً هي هكذا .. ما ان تنظر الى الصورة حتى تغرورق عيناها بالدموع. رباه ! متى يتيسر لي ان ارى الوجه الامامي لهذه الصورة ؟. ها انظر ، لقد مالت من يدها .. ولكن ، لا استطيع ان اميز ملامحها .. ليتني .. ليتني استطيع ان اراها .. او ليتني استطيع الحصول عليها فاضمها الى صدري ليهدأ بعض ما فيه من شوق ونار ! لقد قامت ! انها متجهة الى صندوق

صغير هناك .. هذه عادتها ابداً لتحفظ الصورة فيه ، وهي لا تنسى ان تأخذ المفتاح معها ، بعد ان تحكم اغلاق الصندوق . ولكن ! وافرحتاه انظر ، لقد سقط المفتاح من جيبها .. وها هي تتوجه الى باب الغرفة دون ان تدري ، لقد خرجت .. هيا بنا ، الى الصندوق .. اقترب ، اقترب ! ان يدي ترتجف ، لا استطيع فتح الصندوق ! هيا ساعدني في فتحه ، قبل ان تأتي .. وافرحتاه ، لقد انفتح ! اين ؟ اين هي الصورة ؟ اواه هذه هي !!

وما هذه ؟ انها صورة امرأة فتية . تشبه الى حد بعيد صورة سيدتي العانس لعنها الله انها هي ! انها صورتها ! عندما كانت في ربيع العمر .!!

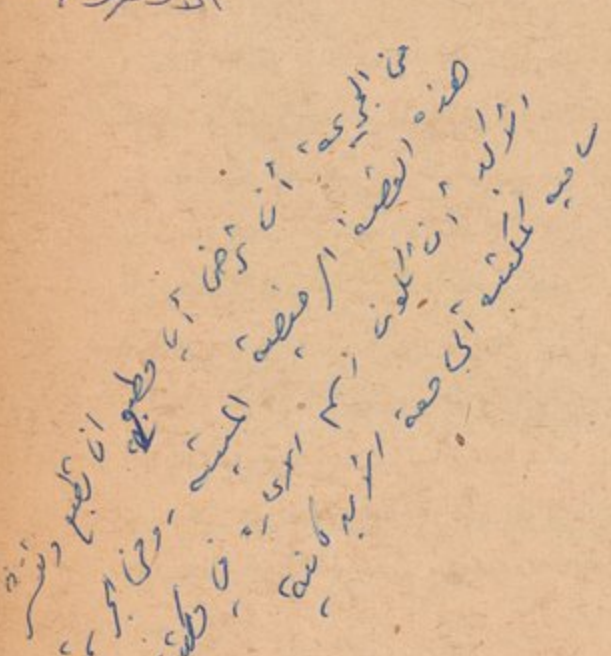

كثيراً ما اتصلت به . فقد رأيته فى افلام السينما وقرأت عنه فى صفحات الكتب ، وسمعته في اقوال الناس ، ولكنك لم تجده ولم تلقه ، حقيقة امام عينيك .. هذا الذي يسمى بالحب ، ويدعي بالغرام !

فما وجدت بداً من النزول الى الشارع . ومتابعة الغواني تسألهم الحب « كما علمك اصحابك » غير ان الغواني لا يدرين عما تسأل شيئاً بل يحسبنك طالباً شيئاً آخر لا يمكنهن اعطاؤه لك وأنت غريب عنهن ، وبعيد عن وسطهن ! فكم مرة الهب خدك كف حسناء رشيقة بصفعة قوية ، لأنك تجرأت وكلمتها فى عرض الطريق ! وكم مرة انهالت عليك الشتائم واللعنات من فتاة كنت تحسبها ملاكا لا يعرف عن الدنيا شيئاً ، فتجرأت وسألتها الحب ، وقدمت نفسك لها مساعداً فى حمل ما تحمل من الكتب ؟ وكم مرة ظهر امامك شاب وانت تتبع فتاة واشبعك لطماً ولكماً زاعماً انك تتبع شقيقته وتريد بها سوءاً ؟ ولكنك بريء مما اتهمك به هذا الشقي ؟ فانك لم تطلب منها سوى اللطف والحنان ، والرحمة والشفقة . غريب امر الناس ألم يروا مثلك ، ويسمعوا ويقرأوا ، عن الحب وعن الغرام ؟ ألم يعلموا بان الحب هو اقدس عاطفة أودعها الله فى البشر ؟. كلا .. انهم لم يدركوا بعد ، فلو ادركوا لوجدت من تبادلك عاطفتك عند اول نظرة . واصغر بسمة ..

وكنت في السينما ذات يوم تشهد رواية غرامية عنيفة، بحيث أثر فى نفسك تأثيراً بالغاً ، ولم تشعر الا وقطرات من دموع تنهمر من مآقيك . الى ان انتهت الرواية واضيئت الأنوار فاستغربت إذ تصفحت الوجوه التى شاهدت

ما شاهدت ، كنت تأمل في ان ترى وجوهاً كوجهك ، دامع العينين ! ولكنك لم تر إلا وجوهاً صارمة بليدة . ولما اقتربت من احدى الفتيات كثيراً ، وسألتها عن موقع الرواية فى نفسها ؟ « رغبة في التعرف عليها والتقرب منها » لم تلق فيها غير النفور والقسوة ، كأن ما شاهدت قبل لحظات ، لم يكن الا وهماً من الأوهام لا يمكن ان يكون حقيقة ملموسة في هذا العالم . فما احقر الناس وما اشد غباوتهم ، وهكذا لم تنجح محاولاتك لا ولا واحدة منها ، فانطويت على نفسك وقد داخلك شك في حقيقة الحب وبينما انت مسرع ذات يوم في الرجوع الى بيتك من عمل مرهق متعب ، اجتذب انظارك ما كنت ترجو ، غير انك لم تكن مستعداً للقائه لذا لم تلتفت اليه كما كان يجب لقد كانت نظرة ! تبعتها ابتسامة من وجه امرأة حسناء ! ولما وصلت البيت شعرت بحنين يستولى على افكارك فتعجبت من نفسك لماذا لم تجبها بابتسامة انت الآخر ؟ وسخطت على الحياة ، لماذا أظهرتها لك فى مثل هذا الموقف ؟ وفى اليوم الثاني صادفتها ايضاً وابتسمت ، وابتسمت ! ولكن أحقاً هذا هو الحب ؟ كلا انك لم تشعر بما كنت تعتقد ، فلا ذهول ولا رجفة ، ولا خفقات عنيفة ، تنبعث من قلبك . لا ولا جاذبية صارمة تجذبك اليها . كما سمعت وكما قرأت عن مثل هذا الموقف . بل انك شعرت تجاه بسمتها هذه بعاطفة غريبة تسري في كيانك فتخذره خذراً لذيذاً .. وهذا بعيد كل البعد عما قرأت وعما سمعت عن مثل هذا الحال ! فهل كذب الراوون ، ام اختلف الكاتبون ؟ ربما ! فقد حلقوا بالخيال بعيداً . وصوروا مواقف الحب تصويراً مكبراً مبالغاً اكثر مما يجب !

ومضت بضع ايام فاذا بك قد نلت ما تمنيت .. فكنت ذات ليلة ساهراً والطبيعة حالمة ساجية .. والنجم يلتمع فى قبة السماء ، وعيناك تراقبانه وقد لاح فى اعماقهما طيف سعادة عميقة وبان فى نورهما رسم امان بعيدة ..وقلت فى اعماق نفسك .. رباه هذا هو الحب !.

آنذاك تمكن الليل من ان يرى شيئاً يلتمع فى مقلتيك ، ولكنه لم يعرف ما هو .. فقد كنت تبكي ! لا حزناً ولا ألماً ، بل من فرط السعادة ، من لذة الهوى ، من عذوبة الحب ..

وكنت مع صديقك ذات يوم .. عندما لمحتها ! في الطريق صدفة .. فشعرت بسرور مفاجيء يستولى عليك ، وتظهر آثاره دماً قانياً يكسو وجهك ، فاضطربت ! خشية ان يعرف صديقك امرك ، لقد كنت قد اخفيت هذا الحب عنه ، ولم تصارح احداً به . وحاولت ان تستأثر بهذه اللذة وحدك !. ولكنك كنت تريد ، تريد ان تبوح لكل من يقابلك ، تريد ان تصرخ في وجه كل من يحدثك .. « ألا تدري اني احب ؟ » . وكانت المسافة التي بينكما فى تقاصر مستمر وشعرت في موقفك هذا برغبة في ان تبوح له بسرك . ألم تلتق بها ؟؟ ألم تقبلها؟؟ اما لبت جميع مواعيدك واياها ؟ فلماذا تخشى بعد الآن ؟ انها لك !، لك وحدك ؟ والتفت الى صديقك . وقبل ان تفتح فمك للكلام سمعته يقول :

— من يصدق ان هذه المرأة تمنح نفسها لكل من يريد ؟.

فتساءلت :

— ومن تقصد بهذا الكلام

— هذه ... هذه المرأة .

وأشار الى رفيقتك !! أ

جاهل بالعلاقات بين هذا الكوبشي وبين ان يقتنع بهذه الدنيئة

رجلان وامرأة

أحسا ـ عند التقاء النظرات ـ بعاطفة تشرق من نفس كل منهما كما يشرق الخيال في مخيلة الشاعر ! كانت تنظر اليه دون ان تدري سبباً لذلك فان مهنتها كمغنية في هذا الملهى ، فقد قتلت في نفسها كل عاطفة وكل حب ، الا حب المال والهدايا .. فما بالها تهتم بهذا الشاب الخجول الذي ليس من ذوي الجيوب المليئة ـ كما يظهر لها من شكله ـ ؟ كانت تفكر في كل هذا وتحاول ان تصرف أنظارها عنه ، غير ان افكارها سرعان ما تتلاشى ، ومحاولتها سرعان ما تفشل . وتعود عيناها، ترمقان هذا الفتى الجديد بتأمل واعجاب غريبين. أما هو ، فبالرغم من ان هذه اول مرة تطأ قدمه فيها عتبة الملهى .. حيث طالعه هذا الجو الرخيص ، الغريب عنه ، وعن فتوته .. فقد أيقن بانه قد وجد المرأة التي خلقتها في خياله أحلام الشباب! لقد وجدها في هذه الانسانة الفاتنة .. ولو انها مغنية ، ماذا يهمه ذلك ؟ إنه قد أحب روحها .. أحب قلبها .. أحب هذه الكآبة المرتسمة على وجهها .. أو لم يحب قبله ديماس الصغير الغانية كامليا ؟ أو لم يهو الراهب بافنوس الراقصة تايس ؟ لقد علمته الكتب ان من انبل الاعمال الانسانية، أن يمد الرجل يده الى ساقطة فيرفعها من سقطتها ! وهذه المرأة ليست ساقطة بمعنى الكلمة ، ولكنها مغنية تسعى يومها لكي تجد لها ما تعيش به ! اذاً فهي مضطرة لا مختارة .. ولعلها شريفة النفس كريمة الاخلاق .. فلم لا ينتشلها من هذه الهوة المظلمة التي تحيا فيها ؟ ولم لا يبدد ظلمة حياتها بنور السعادة ؟ يجب ! يجب ان يفعل ! ولا سيما وهي تنظر اليه هذه النظرات اليائسة الحزينة .. فربما يحصل منها على زوجة وفية طاهرة ، تدير شئونه وشئون والده الهرم . اما آن له ان

يتزوج ؟ أما آن له ان يستقر ؟ وينسى هذه الحياة المضطربة ؟شغل وتعب ، يعقبها وحدة فى البيت وحدة قاسية . اللهم الا اذا اقبل عليه اصدقاؤه ، وخرجوا به الى للقاهى..ولكن هؤلاء الأصدقاء وان كانت عشرتهم لذيذة فى بعض الأحيان الا انها مملة ! تبعث السأم ، بل تبعث الاشمئزاز فى النفوس انهم طائشون! لذا فقدسأم منهم، بل وكرههم ،وكره مرافقتهم! اذ انه يختلف عنهم كثيراً فهذه الامور الساقطة لا قيمة لها فى نفسه الأبية الشريفة ، انه يؤمن بالحب، بالحب وحده! ذلك الحب الطاهر الذي يجعل من الحقير عظيماً ومن التافه صالحاً .. ولكن اين هو هذا الحب الذي اضاع عمره فى البحث عنه ..؟ انه هنا .. هنا في هذه العيون الناعسة ... اجل ! لقد شاءت الاقدار ان يجد الحب فى هذا المكان ، فلم لا يستمع اليه ، ولم لا يستجيب دعوته ؟ وانتبه من افكاره هذه على صوت الخادم . خادم للملهى وهو يقول :

— ليلى تريد ان تجلس اليك .

— ليلى ؟.. ومن هى ؟

— تلك للغنية .

واشار اليها وكأنها فهمت من نظرته انه يرحب بها فقامت اليه ،ومدت يدها مصافحة ! وكان تعارف وكانت صداقة وكان حب جارف عميق !! لنتركهما غارقين فى نشوتهما نشوة الحب وسكرة الهوى ، ولنعد اليهما بعد شهرين ، ونبحث عنهما فى للملهى فلا نجد لهما اثراً ونسأل عن للغنية ليلى ، فلا نلتقي بها ! واخيراً نسمع بان ليلى للغنية قد اصبحت الست نهاد ، فقد رفعها ذلك الشاب للفتون ، رفعها من بيئة للملاهي الى بيئة الأشراف واسكنها منزلا كان له .. وهكذا انطوت صفحة سوداء كتب فيها الشيطان اسم ليلى للغنية ... وحلت محلها صفحة بيضاء كتب فيها الشاب للفتون اسم الست نهاد !!

***

وسأله ابوه :

— من تكون تلك الفتاة التي كنت بصحبتها نهار امس ؟

وكان قبل يوم جالساً في مقهى عندما لمح ابنه في الطريق تتأبط ذراعه فتاة جميلة ، عرفها من اول نظرة فارتجف ! وقام من مجلسه يريد اللحاق بهما لكنه شعر بكيانه ينهار وبقوته تتلاشى ، عندما لاح له سخف فكرته اذ كيف يواجهها وفي الطريق العام؟ وانتبه الابن الى سؤال ابيه وقال :

— انها فتاة مثقفة ! تعرفت بها اخيراً .

— ماذا تأمل منها ..؟

— انها تلك الآنسة التي رجوت منك ان تسمح بزواجي منها .

وكان قد اطرق الى الارض ، فلم ير أية انفعالات ظهرت آثارها في وجه أبيه . فقد تغيرت سحنته .. وارتجفت شفته السفلى .. وهمهم باشياء غريبة لم يفهمها هو ، فلو انه رفع رأسه في تلك اللحظة ورأى حالة ابيه لأيقن انه هناك شيئاً .. مخيفاً ! وقال ابوه بصوت مرتعد !

— أمجنون انت . ؟

— كلا يا ابي .. مالي اراك تغيرت ؟!

— لا .. لم اتغير .. لا اريد ان اسمع منك هذا الكلام مرة اخرى .

فشعر برغبة قوية تدفعه الى البكاء الى الانتحاب ، بل الى التوسل والرجاء .

— لماذا يا ابي !.

وقام الاب نافذ الصبر مرتعد الاوصال ، يسير في ارجاء الغرفة بخطوات مرتبكة .. وقد لاحت في عينيه لمعة سرعان ما ، استحالت الى دمعة كبيرة خرساء جففها قبل ان يراها ابنه ، الذي كان جالساً ينظر اليه في ذهول .. ووقف الاب امام النافذة ينظر الى الافق البعيد الممتد امامه الى اللانهاية ، كانما هو يلمح من بعيد طيفاً من اطياف الماضي الغابر ؟ ثم قال :

— اليك قصتي ايها الفتى الساذج ! اليك قصتي الغريبة لتعرف شيئاً عن امور الحياة ، وكيف تسخر منا ومن اعمالنا .

ثم التفت الى ابنه وسار نحوه وجلس امامه ، واشعل لفافة واخذ يتأمل الدخان وهو يتعالى ويتلاشى ثم اردف قائلا :

— كانت للمرأة التي اخترتها لنفسي تصغرني باعوام كثيرة ، لذا فقد مانع ابي وامي زواجي منها ! غير اني كنت احبها فلم استمع الى نصائحهم فاقدمت وتزوجتها ..

— سعدت بها ، بلا شك !

ونظر الأب الى ابنه وهو يفكر في اقواله ثم قال :

— اجل لقد سعدت بها ، حتى ولدت انت ، وبعد ذلك ! تغيرت عواطفها نحوي . وتغيرت معاملتها لي ، فاذا بها زوجة حمقاء منصرفة الى نفسها اكثر من اي شيء . وكانت تترك شؤون البيت ، وبعد ان تتركك عند الخادمة تغادر للنزل ! وعندما اعود من عملي لا اجد لها اثراً ! وعرفت باني لم اكن جديراً بحبها ! انا الرجل الكبير وهي الفتاة الصغيرة ، لذا لم تتردد في ان تمنح نفسها وقلبها لسواي . وبعد ذلك اكتشفت خيانتها ! مع ذلك الطبيب الذي استدعيته ساعة ولادتك ! وهكذا تغيرت الدنيا امام عيني ، فرأيتها مظلمة مغبرة ليس فيها الا المصائب والأهوال لقد تأثرت كثيراً لخيانتها لذا لم اتردد في طلاقها . فخرجت من بيتي ! وبقيت انت سلوتي الوحيدة في الحياة ! ومنذ ذلك اليوم لم ارها ولم اعرف عنها شيئاً .

ثم سكت الاب وقال الابن :

— وما صلة هذه القصة بما نحن فيه ؟

فاضطرب الأب وتشاغل باطفاء اللفافة وهو يقول :

— لقد رأيتها . رأيت امك في الأمس القريب .

— أين . أين ؟ عرفني بها ، اخبرني بعنوانها .

ـــ أنت تعرفها جيداً يا بني . هي تلك التي تريد ان تتزوجها !

وكأن القدر اراد ان يوجه الى الأب ضربة اقوى من تلك الضربة التي تلقاها ولده . فاذا بالابن يردد ببلاهة :

ـــ ولـكن قد تزوجتها يا أبتاه !!

كنت تفكر في موقفك الغريب . فقد دعاك اخوها الى بيته لتناول العشاء معه ومع اهله لقد كانوا غرباء عن تلك الحارة (التى تسكن فيها) وكان ان تعرفت باخيها ، بل هو الذي تعرف بك ، فوجدت فيه الصديق الأنيس والزميل الوفي الذي صرت تحس بالراحة والاطمئنان وانت بجانبه وكانت هذه هى المرة الأولى التي يدعوك فيها الى بيته ويقدمك الى اخته ! فاي انفعالات داخلتك عندما صافحتها ؟ إذ أدركت انها هي ! هي تلك الفتاة الجميلة التى وقع نظرك عليها اكثر من مرة وهى واقفة في الباب او جالسة الى النافذة . وما هي الا لحظة اخذتم خلالها تتبادلون الحديث حتى رن جرس التلفون . فاستأذن اخوها وذهب اليه ، ثم عاد واستأذن مرة اخرى فى الذهاب ! إذ قد دعى لشغل هام بالتلفون « فرأيت ان واجب الصداقة يدعوك الى القيام والذهاب » على ان تعود فى يوم آخر لأن صديقك سيذهب وانت لم تأت الا لاجله ، وليس هناك احد سواه من الرجال فقد كان يعيش هو وأخته ! إذ لم يكن لهما أهل ولا اقارب . فالاحسن اذن ان تخرج لكي تظل عند حسن ظن صاحبك ، لذا فقد قمت مستأذناً فى الذهاب ، غير ان اخاها لم يدعك تذهب ، ولم يتركك تخرج ، وما زال صوته يرن فى سمعك وهو يقول :

— لن اغيب طويلا . ارجوك ان تجلس ، فهذي اختك كما هي اختى . وان تأخرت فلا تنتظراني للعشاء ارجوك . ارجوك يا صديقي ان تجلس ،

ان هـذا هو بيتك فليس من اللائق ان تخرج منه جائعاً وقـد دعيت اليه للعشاء ..

ونظرت بطرف عينيك الى اختة ، فاذا بنظراتها البريئة تلح عليك بالبقاء فلم تجد بداً من ذلك ، فجلست ! فخرج صديقك .. فاذا انت وحدك واياها .. إذ ذاك مر فى خاطرك فكرة ، وسرعان ما استقرت وتشعبت منها احلام جميلة رائعة . بعثت الامل في قلبك اليائس ، لقد كانت هذه الفكرة هى فكرة الزواج منها ! فانها شريفة لا شك فى شرفها ، اذ ان هذا الجمال البرىء لابد ان يكون خلفه قلب برىء طاهر .

وعلا صوتها الناعم .. فانتبهت من افكارك فاذا بها تقول :

— تكلم حدثني عما تفكر .

— افكر في هذا الوضع الغريب فلو ان زائراً دخل الآن .. ؟

— لا تخش فليس ثمة زوار . ثم وما الداعي لهذا الخوف ؟

— أليس لى الحق في ان اخشى على زهرة نقية من ان تلوك اسمها افواه الناس دون رحمة وهى لا زالت نقية عذراء ؟

— ان هذه الزهرة يا صاحبي قد سلب اريجها ، رجل من الرجال ..؟

فاضطربت عند سماعك هذه الكلمة . رجل من الرجال ؟ من هو . من هو هذا الذي تحبه هذه المرأة الفاتنة الى الحد الذى لا تخجل من ان تعلن حبها هذا لأي رجل كان ؟ واستطردت قائلة :

— لن اقول لك عنه الآن . لقد تأخر اخي فاسمح لى ان احضر العشاء وخرجت وتركتك حائراً .

أصحيح انها تحب رجلا من الرجال ؟ ترى من هو هذا الرجل ؟ لقد اخطأت بعض الشيء . اخطأت اذ وجدتها تصلح لأن تكون زوجة لك اذ ظننتها عذراء القلب .. لم تعرف الحب ولم تفهم اسراره ، ولكنها وهي على هذه الحال يصعب عليك ان تتزوجها .. ليتها تكون مداعبة ، هذه الكلمة

التي لفظتها .. انها جريئة بل وصريحة اكثر مما يجب ! اذ كيف تقول لك هذا وانت غريب عنها ! ولم تحدثها سابقاً ؟. وهكذا وجدت نفسك حائراً بل متضايقاً . ووددت لو تهرب لتتخلص من هذا العذاب، ولكن اين لك السبيل لذلك ؟ وهذه المرأة في غرفة المائدة المجاورة لباب المنزل ؟.

وظهرت لك في الباب تدعوك الى المائدة غير انك لم تقم ! وكأنك لم تفهم ما تريد ، اذ كانت هي قد غيرت ملابسها وغيرت ترتيبها بعد ان صبغت وجهها بمختلف الاصباغ والالوان . فاذا بها جذابة مغرية .. وكانت قد ارتدت ثوباً طويلا وردي اللون ، ناعم الملمس ، يكاد يشف عما تحته من جسد مغر مثير .. لقد اضطربت كل ذرة فيك ، عندما وصل الى انفك ذلك العطر الذي تعطر به ! وهكذا تلاشى كل ما كنت تفكر فيه ، الا كلمة واحدة تتبعها علامة استفهام ، بقيت حائرة على لسانك لا تعرف لها جواباً (لماذا فعلت ما فعلت ؟) وبعد لحظات كنت بجوارها امام المائدة ، لقد كنت جائعاً .. وبقيت جائعاً ! لم تأكل ما يشبع معدتك الخاوية ، لان المرأة هذه كانت تثير فيك عواطف ومشاعر غريبة .. فان ساقها كان طول الوقت ـ ملتصقاً بساقك ! فكنت تشعر بالنار وهي تسري منها اليك ! وكنت تحس بالشوق وهو يدعوك اليها .. ولكن !. انها تحب !. تحب سواك !. وبعد العشاء عرضت عليك الجلوس في غرفة اخرى ، غير غرفة الاستقبال فلم تمانع انت ، فدخلت الى حيث اشارت، لكنك بقيت مأخوذاً بهذا الجو الجديد ، فقد كانت هناك رائحة نفاذة ، تدير الرأس ، وقد كانت الغرفة مضاءة بنور ازرق ! ثم تاهت نظراتك في ارجائها ، فاستقرت على شيء لم يخطر ببالك !. فسرت رجفة خفيفة في نفسك ، لقد كان هذا الشيء مخدعاً !!

واذا اجتمع رجل بامرأة في غرفة ذات رائحة تدير الرأس ، يضيئها نور ازرق اللون ، وفي زاوية منها مخدع تتضوع منه العطور . لا يمكن

ولن يمكن ، ان يخرجا بسلام !

ترى ما قصدها اذ تبين لك هذه المظاهر ؟. وهي قد اعلنت حبها لسواك ؟ أتريد ان تعبث بك ؟. ام تريد ان تتسلى برجولتك ؟ كلا ، ان هذا محال ! ما هذه الافكار السوداء التى تراود عقولنا في مواقف لاتدعو الا الى القداسة والنبل ؟. لعن الله الشيطان ، انه هو .هو الذي يأتي بها ولكنك لن تستمع اليه ، ولن تبالى بما يريد وخاصة هذه المرأة .. هي شقيقة صديقك ، قد تركها عندك وديعة غالية على ان يعود اليها بعد قليل وابتسمت المرأة واقتربت منك وقالت .

— لم تسلنى عمن احب .

فارتجفت ، فقد كان للموقف يدعو الى اكثر من رجفة . إذ كانت للمرأة قد اقتربت منك كثيراً ونظرت فى عينيك طويلا بعيون هى السحر بذاته . وهى الفتنة بكل معانيها فلم تدر بماذا تجيب ولكنك عدت فقلت في اضطراب :

— وما شأني به .

— ما شأنك ، الا تحقد عليه ؟

— انا ؟. معاذ الله ! أنت واهمة يا سيدتي الى حد بعيد .

— لا . لست بواهمة ! فان من المستحيل ان يجتمع رجل بامرأة . في غرفة كهذه ولا يلعن الرجل من يحول بينه وبينها .

ماذا تقول لها ؟ وبماذا تجيبها ؟ ان هذه الكلمة قد جعلتك تنتبه الى ما انت فيه ، حقاً انها تحاول ان تلهو بك ، وتجعلك تحسد ذلك الرجل الآخر الذي تهواه . انها تسخر منك ـ ايها الرجل ـ فاياك ان تدعها تتمادى في السخرية . اهرب . اتركها . فارق هذه الغرفة الملعونة . هذه الغرفة التى زينها الشيطان ، ورتبها الابالسة ، فاذا به وكر للشهوات .

انها وديعة بين يديك ـ هذه المرأة ـ فاخرج ! لتتخلص منها ،

ولتتخلص هي منك ، فما موقفك امام صديقك اذا اتاك في هذه اللحظة ؟ وابصرك وانت في هذا الوضع وعلى هذا الحال ؟ أفما يشك في امرك ؟ افما تساور نفسه افكار سوداء تجاهك وتجاه اخته ؟؟

واتجهت نحو الباب وقبل ان تخطو خطوة واحدة سمعتها تقول :

— الى أين ايها الغبي ؟

فاستدرت اليها غاضباً من هذه اللهجة . وتقدمت ! لتصفعها ، لتضربها لتلطمها لطمة لن تقدر بعدها على التفوه بمثل هذه الكلمة . ولكن انظارك ! ما ان استقرت عليها حتى تسمرت ذاهلة ! وسرعان ما نسيت ما كنت بصدده ، فلا غضب ولا هياج ، وبان في عينيك نور غريب إذ رأيتها في المخدع مضطجعة . وقد انكشف قسم كبير من اعلى ساقيها .

واستطردت تقول في اغراء مثير :

— تقدم فانت هو الرجل الذي احبه واريده !

غير انك لم تتقدم ، ولم تتحرك ، اذ كنت في حالة لاتسمح لك بالحركة كنت لا تعرف ما انت فيه ، ولا تدري ما انت مقدم عليه ، فقد كان لهذه المفاجآت للتتابعة اثرها الفعال في نفسك ، فاذا بك قد اصبحت في حالة لا شعورية . لا شك في صحة ما تقول ، فليس هذا الدور الذي قامت به هو من اجل السخرية واللهو كما اعتقدت ، بل انها كانت جادة فيما تفعل . انها تحبك انت ، وتريدك انت ، وتغريك انت ، غير انك لم تتقدم ، فان هذا المخدع ملؤه النيران أفلا تخشى الاحتراق ؟ اجل من الخير ان تبقى حيث انت ، من الأحسن ان تظل في موضعك ، ولا تابى النداء ولكن ! أتقدر على هذا ؟ اتتمكن ان تكبت هذه الانفعالات ؟ التي اخذت تتصارع في نفسك ؟ هذه الرغبات المختلفة التي تلح عليك لان تقترب ولكن لماذا تخشى ولماذا تكبت هذه الانفعات ولماذا تقتل هذه الرغبات ؟ وهي هي نفسها لا تحاول ذلك ، وهي التي يقع عليها نتائجها ؟ اما انت ، اما انت ايها

الرجل ، فستظل كما انت ! وكأنك لم تقبل هذا الثغر ، وكأنك لم تعانق هذا الخصر وتعصره عصراً .

ممن تخاف ؟ لا تخف من احد ، هيا تقدم فهي التي تغريك وهي التي تفتنك ، وانت الجائع العابر . افما تعرج لتأخذ نصيبك من ثمرات هذه الشجرة التي تدعى بالمرأة .!

ولكن اخاها ، ذلك الذي اخلصت له الود ، ذلك الذي كان لك خير زميل وخير صديق ، ذلك الذي ترك اخته وديعة عندك ، أتخونه ؟ أتسلب شرفه ؟ اتتقدم من المخدع الذي اضطجعت عليه اخته ؟ لماذا ؟ ما الذي جنى ليكون اهلا لهذا ؟ ما الذي فعل حتى تنتقم منه هذا الانتقام الشنيع ؟ حرام ! حرام عليك هذا .! لا ، لا تتقدم . فللصداقة منزلة عالية ، منزلة اسمى من هذه الشهوات الحيوانية ، لذا فانها ستتغلب عليها . ويجب ان تتغلب ! لا ، لن تقهرك امرأة ، فانت اقوى منها ، ولن تقهرك الرغبة هذه لانك اسمى من ان تفكر فيها . يجب ان تصونها ـ هذه المرأة الطائشة ـ يجب ان تحفظها ، لتسلمها الى صديقك نقية عذراء ، فابحث لك عن الباب واخرج سريعاً قبل ان تستطيع اللحاق بك ، فالمرأة ـ في ساعة كهذه ـ تكون قاسية كاللبوة ، شرسة كالنمرة ، فاهرب بسرعة .. بسرعة .

وهكذا كان ، اذ خرجت وظلت النار مشبوبة فوق السرير ، وليس لها من يطفيها ! وخرجت الى الشارع .. واخذت تسير في الهواء الطلق ، لتطرد ذلك العطر كالسموم ـ عطر الغرفة الزرقاء ـ من صدرك ! سرت وفي مخيلتك الف صورة وصورة ، وفي راسك الف فكرة وفكرة .. وبعد ساعة عدت الى البيت ، وبينما انت تمر من امام نافذة منزل صديقك ، استوقفك صوت قوي كالرعد صارم كالعاصفة . عرفت انه صوت صديقك فتوقفت .. وتمكنت ان تفهم من كلامه الكثير قوله مزمجراً .

ـ كيف ؟ كيف تتركينه يفلت من يدك ؟ هذا الصيد السمين .؟

معاون المدير

ابتسم مغتبطاً بوظيفته الجديدة التي ارتقى اليها ! حقاً انه انسان مخلص في عمله ، لاينسى الواجب ولا يتهاون في تأديته ، والا لما ارتقى الى معاون للمدير فى هذه المدرسة العالية .. بينما كان سابقاً مدرساً بسيطاً فى احدى فروعها ! انه مغرور بنفسه ، فهذا ما يليق بشخص مثله ، قضي السنين الطوال يلقن الاطفال حروف الهجاء ، ولا يحصل منهم الا على قصاصات من الورق صغيرة ! يجدها قد ملأت جيوبه كلما غادر المدرسة . فيأخذ فى لعن اليوم الذي عين فيه مدرساً ، وهو يعاهد نفسه على ان يكون صارماً قاسياً فى معاملته بعد اليوم .. وسوف يدخل الصف ويصفع كل تلميذ يحاول الضحك فى حضرته والتنكيت به .غير انه ما ان يجتاز باب الصف في اليوم التالى حتى تعلو الهمسات الساخرة ، وترتفع الضحكات المكتومة فى افواه التلاميذ .. فيتميز غيظاً وحنقاً ، فما ان يفتح فمه الا ويلتفت ليرى (سدارته) التي كان يضعها على رأسه ،قد اصطادتها صنارة معلقة بخيط في اعلى الباب!

حقاً انه اليوم سعيد ، وانه ليحسد نفسه على هذه السعادة التي ما كان يحلم بها ، فهو الوحيد الذى ارتقى بهذه السهولة من مدرس بسيط يسخر منه أصغر الطلبة الى مساعد للمدير يهابه اكبر المدرسين ، انه لعظيم ، وسيكون اعظم شأناً ، وسيسعى جهده لرفع شأن هذه المدرسة التي صار كل اهتمام اصحابها فى شخصه الجليل .

***

جاءته شكوى من مديرية مدرسة للبنات تجاور مدرسته ، تخبره فيها بان تلاميذ مدرسته ، يقفون كل صباح في طريق التلميذات ! فيعاكسونهن

بكلمات الغزل وبعبارات الاطراء ! فهي ترجوه ان ينصح تلاميذه بالعدول عن هذه العادة الشائنة . فامر للمعاون باجتماع الطلاب . ووقف بينهم خطيباً يشرح شكوى للدير ويهددهم بالعقاب الصارم ، اذا هم وقفوا في طريق الطالبات . ولكن ذلك التهديد وذلك الانذار لم يجده شيئاً : فما كان صباح الغد حتى رأى للعاون تلاميذه فى نفس الوضع الممنوع ، وفي يد كل واحد منهم كتاباً يتصنع القراءة ، وكأن لم يحدث شيء ما ! فاشتد غضب للعاون ، وتصاعد الدم الى وجهه المحتقن ، واقترب منهم مهدداً منذراً ، فما كان منهم الا ان غابوا عن وجهه الواحد في اثر الآخر . فبقى هو وحده الواقف في الوضع الذي حرم الوقوف فيه ، وخشي ان هو دخل المدرسة عاد التلاميذ الى موضعهم . فبقى واقفاً وحده كالحارس الامين ! واذا بجماعة من الطالبات تمر به والبشر يلوح في وجوههن الصبيحة وفي انوثتهن المستيقظة . فأخذ للعاون يلمحهن بطرف عينيه مرة ، ويغض طرفه مرة اخرى لاعناً الشيطان الذي يهمهم في اذنيه بكلام لا يليق بشخصيته المحترمة ان تفكر فيها . ساعياً جهده ليشغل فكره عنها بأي شيء ، بزوجته مثلا وبيناته الست اللواتي لم يوفق فى تزويج واحدة منهن وهو على اشد ما يكون من الشوق ، لسماع دقات بابه تعلن عن الخاطب المنشود ! يا لهم من جهلاء ، هؤلاء التلاميذ الذين يقفون فى هذا الموضع كل صباح ! ولا يلتفت إلى بناته وهن آتيات الى المدرسة . ولكنه يريد ؟ بل يتمنى !! ان يهوى اي تلميذ كان احدى بناته ولو كان من اغبى تلاميذ المدرسة . انهم اغبياء حتى فى الحب ، لا تبهرهم الا الوجوه السافرة بينما الوجوه المحتجبة لا تجذب انظارهم ابداً ! فانهم لا يهتمون الا بالمظاهر وان كانت كاذبة ، حقاً ما اشد جهلهم ؟

واستلفت انظاره بعض الطالبات ، فرفع بصره ليتأمل وسرعان ما التمعت عيناه . وهما ترمقان احداهن ! وكانت محتجبة غير ان المعاون اخذ يطيل النظر اليها بشوق واعجاب ... ، وهي تسير بدلال ساحر

وينبثق من كل موضع من عباءتها اغراء ونداء ، ومرت بالمعاون وتركته مسحوراً بشذاها الذي هز كيانه وجعله يقف مضطرباً ، يودعها بانظار جائعة ، وفي صباح اليوم التالى كان المعاون يقف في نفس الموضع الممنوع ! وقد استبدل ملابسه باخرى ووضع فى عروة سترته وردة حمراء ، وسرح شعره « الذي ابيض اكثره » بعد ان لمعه بزيت ذي رائحة نفاذة .

كان التلاميذ المارون به متعجبين من هذا التغير الطارىء عليه ، متهامسين في آذان بعضهم ومشيرين اليه . بينما هو واقف لا يعيرهم التفاتاً بل وحتى لا يريد ان يعرفوه . اذا صار يخشاهم ! ويخشى افتضاح امره لديهم .

واقبلت ظبية الامس تتهادى في مشيتها فخفق قلب المعاون وارتبك فى ترتيب هندامه ، وهو يتمنى ان لا يلاحظه احد الطلاب ، واشتدت الخفقات في قلبه وارتفع الدم حاراً الى وجهه .. فاحتار فيماسيفعل ، وقد استحال الى دمية صفراء ، اذ وجد نفسه صغيراً بالرغم من عظمته ، جاهلا بالرغم من مركزه امام هذه المرأة .. ولما اقتربت منه رآها تستدير نحوه ، وابصرها تتمهل في مشيتها ثم تقف امامه ! وقبل ان يتمكن من جمع اشتات افكاره وقبل ان يتفوه بكلمة ما ، سمع صوتاً ناعماً ساذجاً يقول :

— صباح الخير يا ابي !.

ما أسخف هذا الدكتور الذي يسمي نفسه كاتباً انه في قصته يستهبل القراء

— من تكون هذه .؟

وكان قد توقف عند صورة جميلة عن تصفح كراسة الصور التي قدمته اليه ؛ عله يتسلى بها ريثما تحضر للخروج واباه كما اراد . وكانت تلك اول مرة يزورني فيها — فهو زميل جديد قد تعرفت اليه — في الايام الأخيرة ، وعندما ادار لى وجه الصورة ابتسمت وانا اقول :

— هذه ؟ انها وصال ..

— ومن تكون وصال ؟

— صديقة حميمة .

آنذاك رفع أنظاره الي وتأملنى ، وكأنني قلت شيئاً . أو كأن من يقول هذه الكلمة . ومن تكون له صديقة حميمة ، لابد وان تظهر على وجهه دلائل خاصة ، قد لا تظهر في وجه سواه .. واستغربت منه هذه البادرة ، فابتسمت فى وجهه ثم استدرت لشأني وانا اقول :

— لماذا تستغرب ؟

— انا لا استغرب . ولكنني أتألم .!

— تتألم ؟

— اجل فان من كان مثلك ، من كان عنده هو الصورة ، ومن كانت له صديقة حميمة ، هو اهل لكل ألم ولكل أسف .

وكنت قد استدرت اليه وتقربت منه مرة اخرى .. وقد لاحت في وجهي علائم الاستغراب . واردف هو :

— تحبها .. بلا شك !

— اجل ولم تسأل ؟

— الا تسمح لى فى مساعدة اقدمها لك ؟ مساعدة قد لاتفهمها اليوم ، ولكنك ستشكرني عليها في الغد . ألا اخبرني هل تحبك هي ؟

وسكت افكر — لماذا هو يسألنى هذا السؤال ؟ أهو يعرفها ؟ اهو قريب لها ، يستحيل ! إذ ان هذه الفتاة ليست عراقية . انها مصرية ! قد جاءت الى العراق حديثاً بصحبة شقيقتها التى استدعيت للتدريس في مدارس بغداد . اذن فلماذا يسألنى هذا السؤال ؟ لا ادري ؟ لم لا أخبره ؟ انه صديق ، فلماذا احاول ان اخفي عنه علاقتى بها ؟ وليس في علاقتي بها ما يشين او يخجل :

— اجل يا صديقى .. انها تحبنى ! بل هي مفتونة بي ، لقد عرفت هذا من معاملتها لى ، ومن ذلك العطف والحنان اللذان تغمرني بهما . انها تحبنى ! وقد صرحت لى ذات مرة بانها مستعدة لأن تهجر العالم كله وتتبع خطاي ! فقد كذبت على اختها ذات يوم زاعمة ان لها موعداً مع صديقة لها . وخرجت الى موعدها الذي لم يكن الا معي .

وسكت قليلا ونظرت الى صديقى فاذا به يتأملني صامتاً ، ثم يقول بتأني

— انها لم تفعل شيئاً عجيباً ، فالكذب من صفات المرأة الأساسية !

ثم قام من مجلسه واخذ يسير فى ارجاء الغرفة وهو يقول :

— المرأة .. المرأة .. لا تؤمن بالمرأة يا صاحبي ! أقول لك لا تؤمن بالمرأة وإن رأيتها نازلة من السماء !

— لا ، لن اسمح لك بمثل هذا الكلام عن هذه المخلوقة الضعيفة الساذجة.

فاجاب بسخرية :

— ضعيفة .! أتعتقد هذا ؟ فلو كانت ضعيفة فمن هو القوي ؟ انت ؟ وإن كانت ساذجة ، فمن هو الخبيث ؟ انت ؟ انك تراها الآن بمنظار قلبك ومنظار القلب يكذب فى اكثر الاحيان .

— انا لا اؤمن بما تقول .

— الحق معك ايها الصديق فانت لم تجرب للمرأة التجربة الكافية، انها مثل القطة تأنس بصيدها لحظة كي تؤمن جانبه ثم تنقض عليه فجأة و تفترسه افضع افتراس . وانت ما زلت الصيد الذى لم يفترس بعد !

— انا ؟ بل هي الصيد . وانا الصائد !

— انها للمرأة . انها هى التي تجعلك تشعر بانك القوي وهى الضعيفة ، بانك الصائد وهى الصيدة غير ان الواقع غير هذا .

واخذت افكر فى هذا الذي يحمل على المرأة هذه الحملة ، فقلت في نفسي ما اكثر امثاله ! ان من كان بعيداً عن المرأة لم يحظ بها ولا بصداقتها ولا بعطفها ، جعل نفسه عدواً لها ! دون ان تفعل شيئاً هذه المرأة المسكينة . انه يفعل ذلك اما لكي يتقرب اليها ، او لكي يذلها ، وينتقم لنفسه منها . وبعد صمت طويل سألته بهدوء :

— اريد ان اعرف سبب هذا العداء .

— لانى جربتها . وفهمتها ، وتعرفت بحقيقتها التافهة الحقيرة !

— جربتها ! وكيف جربتها ؟ حتى فهمتها هذا الفهم ؟ الا تخبرني ؟

فنظر الي نظرة لا تخلو من ريبة ومن شك ، وما عتم ان ابتسم وهو يشير الي ان اجلس بقربه . فتركت كل ما كنت بصدده وجلست لأستمع الى هذا الزميل الظريف .

* * *

— كانت هناك امرأة فاحببتها واخلصت لها الود ، غير انها اتخذتني العوبة في يديها وعبثت بي عبثاً دونه عبث المجانين ! كانت تحب المال ، فسلبت كل ما كان عندي منه ، وكانت تحب الهدايا ، فغمرت نفسي بالديون لكي لا احرمها من الهدايا . لم اعرف الحقيقة اول الامر ، فكنت صادقاً في عاطفتى ، مخلصاً في حبي لها ! فاستغلتني ! وبعد ان قدمت لها ونفسي

وعقلي . هجرتني ! ومضت تبحث عن صيد جديد !

وصمت قليلا ثم استطرد :

— وكانت هناك اخرى . همت بها ، ووجدت فيها بعض العزاء بل بعض السلوى ، عن حبي الاول المطعون . وكانت جميلة ! فهل هناك جميلة لا تتصف بالغرور ؟ وكانت جذابة ، فهل هناك من جذابة لا تعرف كيف تلهو بالرجال ؟ لقد ظننتها الزوجة المثلى ، والفتاة التي كنت ابحث عنها ، والغادة التي خلقت لأجلها ! كان هذا أول الأمر . اما بعده ؟ فقد اكتشفت خيانتها ! اذ كانت تحب سواي ، وكان هذا الآخر دوني مركزاً ودوني فتوة ، ورجولة . لكنها المرأة وهي الغبية المجنونة ، لا تعرف هذه الامور . لذا فقد عبث بها ، إذ كان اذكى مني فافترسها قبل ان تفترسه !

وسكت محدثي ، فادركت انه اكتفى بهذا القدر غير انه عاد يتكلم :

— وجاءت المرأة الثالثة ... اخترتها بنفسي ، كي لا تعبث بي ! اخترتها قبيحة ، فقيرة ، حقيرة ، حتى لا تتمكن من ان تحب سواي ! او تحتقرني ، او تخونني ، اخترتها لتكون شريكة ، تقاسمني الحياة ! فلم ابالي بامور القلب . لقد اجبرت نفسي على حبها ، وما ان نجحت ! وما ان خلقت حبي لها خلقاً ! وتقدمت اليها اسألها ان تكون لي زوجة وتشاطرني الحياة .. حتى ضحكت ! وهي تقول : (كم تملك من المال ؟) ... فاخبرتها باني لا املك شيئاً . منها ، فقالت انها ليست مجنونة حتى تتزوج من رجل مفلس مثلي ، اذ انها رغم فقرها ، ورغم تفاهتها ، ورغم قبحها ، سخرت مني وضحكت علي !

وسكت صاحبي لحظة ثم التفت الي وقال :

— هكذا جربت المرأة وفهمتها ، وتعرفت بحقيقتها التافهة الحقيرة .

آنذاك وجدت في كلامه بعض الصدق ! فالمرأة في اكثر الأحيان هي التي تخون الرجل وتسخر منه ، وهذا الذي قد حدثت له هذه الامور ، له

الحق فى ان يقول فى المرأة ما يقول ! ووجدت في نفسي بعض العطف نحوه نحو صديقي الذي لم يسعد بامرأة .. هذه التى هي رمز السعادة للرجل ! ثم نظرت اليه وقلت :

— وماذا تريدني ان افعل ؟

— اهجرها .!

— اهجر وصال ؟

— وصال وغير وصال . اهجر المرأة فستعرف السعادة ، وستتذوق طعم الهناء . ابعد عن هذا الجو الخانق ، قبل ان تتسم منه ! انك ما زلت شاباً فلا تجعل من نفسك فريسة او العوبة لها .

— وهل باستطاعتى ان افعل هذا ؟. ان الرجل مهما قال عن المرأة ، ومهما وصفها باللؤم والخيانة ، فهو يحبها !ويحبها ولا يريد سواها في الوجود ولم يصفها بهذا الوصف الا بغية الاقتراب منها ، والاتصال بها ، اجل يا صاحبي ! ان الرجل مهما طغى وتكبر ، ومهما قال وفعل ، فهو كالطفل الصغير . لا يجد السعادة الا بين احضان امرأة !

ونظرت الى صديقى فاذا هو كبركان على وشك الانفجار .

***

مرت الايام وتوطدت الصداقة . فاذا بي أمام شخص رقيق الشعور ، حلو المعشر ، لا يمل. فكنت اتعجب. اذ كيف يلاقي هذه المصائب العاطفية من كان يحمل هذه النفس الطيبة المخلصة ؟

ولم اشأ بعد ذلك ان افاتحه فى موضوع المرأة ! لعلمي بانه سيأخذ فى سبها ولعنها كما سبق ، لذا فقد خلت احاديثنا من عنصر المرأة . وكان هو يعيش وحده فكنت ادخل عليه فى مسكنه ، في اي وقت اردت ، وكنت استغرب اذ اجده — وهو ما زال فتى شاباً — يعيش بعيداً عن المرأة هذه التى هى فى حياة الشبان ، تكاد تكون الاول والاخير . وغاب عني

ذات يوم فما كان مني فى اليوم التالى الا وذهبت اليه .. وكان باب المنزل مفتوحاً لان اناساً آخرين كانوا يسكنون الطابق العلوي من المسكن فدخلت وتوجهت الى غرفته ، وقبل ان استأذن للدخول ، سمعته يبكي ! فارتكبت ولم افهم الداعي ، غير اني دفعت الباب دون استأذان . وما ان تبينته ، وما ان عرفت الحقيقة ، حتى بقيت ذاهلا فقد رأيت صديقى . ذلك الذي كره النساء ، وعاش بعيداً عن المرأة . ذلك الذي كثيراً ما نصحنى في الابتعاد عن الفتيات لانهن رمز الشقاء والعذاب للرجل : لقد رأيت هذا الصديق يبكي وينتحب وهو يقبل يدي غانية .

دموع عذراء

نغمة تهربت من ابواب النافذة ، وسرت متلصصة في ذلك الجو الجديد فاذا بها في مخدع عذراء .! كانت قد اغمضت عينيها وهي في جلستها على الكرسي الطويل المائل الى الخلف . وفي يدها مجلة مصورة ، وكانت في منظرها الجميل لا تقل روعة عن الأقاحي والزهور المثقلة بانداء الليل . آنذاك سرت النغمة نحوها ببطء وخشوع ، كأنما هي ذهلت حين رؤياها كما ذهل عازفها وخالقها يوم رؤياها . وانتبهت هي من غفوتها على وقع النغمة وللحال عرفتها ، وادركت انها آتية من مذياع للقهى المجاور لغرفتها . فلم تتردد في ان تمد يدها الى مذياعها الصغير فتدير مفتاحه ، واذا بالموسيقى نفسها تنبعث منها اكثر رقة ، واعذب حنيناً الى نفسها .

— اجل انها هي . « اغنية الحب » يعزفها رجل آخر !

وزفرت عن آهة حرى وهي تختلج ومن ثم استسلمت الى البكاء .

— لماذا . لماذا فتحت للذياع ؟ لا اتمكن ان اسمعها . هذه القطعة من بعده !

وحاولت ان تسكت للذياع ، غير انها لم تتمكن فقد عز عليها ان لا تسمع هذه القطعة وهي التي كانت تنتظرها قبل اعوام بشوق ولهفة ، غير انها بقيت تنتحب وظل جسدها الفتي يختلج ويرتعش :

* * *

لقد سمعت هذه للوسيقى منه ، قبل ان تعرفه وقبل ان تراه ، وها هي اليوم تسمعها مرة اخرى . ولكن في للرة الاولى كانت نفس هذه للوسيقى تنبعث من عين الجهاز ، غير ان صداها كان خفقات ! خفقات عذراء حالمة

تتعالى من صميم قلبها ، كلما سرحت نغمة صاعدة بانين ، وهابطة بألم وحسرة اما في هذه المرة فالنغمات تتصاعد وتتهابط تروح وتغدو ، ضارعة متوسلة حيناً . عاتبة مستغفرة احياناً . غير ان ذلك القلب لم يعد يخفق ! لم يعد يهفو : اذ لم يبق فيه حياة للماضي واحلامه . فقد امسى موحشاً خاوياً ، لا دم فيه ولا عاطفة ، فقد مات ؟ لقد مات هذا القلب وهو في مهده .

عندما كانت غرة صغيرة ، حمل هذا المذياع الى اذنيها هـذا اللحن الجميل فاقتربت وجلست بالقرب منه ، ثم اغمضت عينيها وتركت زمام افـكارها لهذه الموسيقى . وكانت لمياء مولعة بالموسيقى ولها اجادة في العزف على البيان . ثم وهي فوق هذا عاطفية شاعرية لا تجد السعادة الا في النغمة الساحرة ، والحلم التائه ، والفـكرة الهائمة . لذا فقد كان تأثير « اغنية الحب » في نفسها قوياً ، عميقاً ، عنيفاً .

وظلت لمياء تردد ذلك اللحن الجميل ، وكثيراً ما جلست الى بيانها تحاول عزفه ، فـكانت تعزف مقطعاً واحداً منه . وتعجز عن عزف البقية لانها لم تـكن قد سمعته غير مرة واحدة . فاخذت تنتظر اليوم عينه من الاسبوع التالي ، ذلك اليوم الذي عزف فيه الاستاذ نبيل حمدي « اغنية الحب » في الاذاعة . عسى ان يكون ذلك اليوم هو اليوم المخصص لموسيقى هذا الاستاذ ، وكان ما توقعته صحيحاً .

فما كان اليوم الموعود واشارت الساعة الى الثامنة والنصف مسـاء الا وكانت لمياء قد تزينت وترتبت وجلست الى المذياع كما لو ان ذلك الموسيقار سيراها من خلال الجهاز .. وارتفع صوت المذيع قائلا « وان تستمعون الى حفلة موسيقية للاستاذ نبيل حمدي يبدأها بقطعة نشوة » آنذاك اخذت لمياء تصفق مرحاً كطفلة غريرة والحق ان سرورها كان عظيماً ، فطالما حلمت بهذه الحفلة الموسيقية وطالما ترقبتها علها تسمع « اغنية الحب » مرة ثانية .

وانبعثت موسيقى « نشوة » حارة نشيطة ، كانها عواطف ثائرة ! واخذت تلعب بالقلوب والنفوس كيفما شأت وارادت غير ان لمياء . رغم انها اعجبت بهذه القطعة الجديدة ـ فقد كانت لا تخصها بالاهتمام ، اذ كانت تنتظر « اغنية الحب » هذه الاغنية التى قدر لها ان تبلغ قلب هذه الفتاة فتحرك اوتاره ، وتبعثه من سباته ومن هجعته .

وانتهت « نشوة » وتبعتها « عواطف » فانزعجت لمياء ولم تقدر على الجلوس فقامت واخذت تسير في الغرفة حائرة ، غير انها سرعان ما ابتسمت عندما وقع بصرها على جهاز « التلفون » فاقتربت منه وامسكت بالسماعة وادارت القرص عدة دورات وسكتت بعدها تنتظر الرد ، غير ان موجة من الارتباك غمرتها ، فقالت فى اضطراب :

— الو .. الاذاعة ؟ عفواً لقد اخطأت .!

غير انها لم تكن قد اخطأت ! ولكنها فكرت في حقيقة موقفها ، ماذا عساها تقول ؟ أتطلبه ! وبعد ذلك ؟. أتستطيع ان تكلمه ؟ أتقدر على التحدث معه ؟ وهى لم تره ولم تتعرف اليه :

وفي هذه اللحظة وصل الى اذنيها صوت من المذياع :

— وتستمعون الآن الى قطعة « اغنية الحب » .

فاهتزت لمياء عند سماع هذه الكلمة ، هزتها رجفة خفيفة لا تدري مصدره . وتقدمت الى المذياع وجلست امامه واغمضت عينيها ليسرح خيالها مع الانغام ولتتيه افكارها مع الالحان ، غير ان هذه الاحلام وهذه الافكار تاهت عن الموسيقى وعن « اغنية الحب » وذهبت وراء تلك النفس التى اوجدتها وخلقتها ...

— ان بينك وبينه تجاوب خفي . يا لمياء ، ها هو قد احسن برغبتك فى سماع « اغنية الحب » قبل ان تكلميه ، فلم يتردد فى عزفها . ترى على اية صورة هو ؟ ان فى موسيقاه روحاً قوية ونفساً حساسة .. هل هو كذلك؟

***

وفي اليوم نفسه من الاسبوع الثاني كانت لمياء تنتظر الساعة الثامنة والنصف بفارغ الصبر ،لا لتسمع « نشوة » ولا لتتعلم « اغنية الحب » بل لكي تحدثه في التلفون ! وهكذا كان ! فما ان انتهى من عزف مقطوعاته حتى اسرعت لمياء الى التلفون وطلبته ! وعندما سمعت صوته الممتلىء قوة ونشاطاً تراخت اطرافها واضطربت السماعة في يدها ، ولكنها تمكنت ان تهنئه على هذه الموسيقى الرائعة بكلمات مبعثرة وبلسان متعثر . فتقبل هو التهنئة بوافر الشكر .

واعقبت للكالمة مكالمات . وتوطدت بينهما صداقة جعلته يجسر فيسألها عن اسمها ...

يا لها من فتاة ! ما لهذا القلب يهفو كلما سمعت صوته ؟ ما لهذه النفس ترتعش كلما حدثها عن موسيقاه وعن فنه ؟ ثم ما لهذا التأثير الذي يستولي عليها منه وهي لم تره بعد ولم تعرفه شخصياً ؟ الا يمكن ان يكون متزوجاً؟ الا يمكن ان تكون له عاهة ما ؟ ثم الا يمكن ان يكون كريه المنظر ؟ يا لهذه الافكار الغريبة تراود مخيلتها ، انها تعرفه ، تعرفه جيداً ، من فنه ، ومن موسيقاه ، هذه الموسيقى المملوءة قوة وحيوية . اجل انها تعرفه ! ولكن مع كل هذا ـ مع انها امست تعيش في عالمه وعالم انغامه ـ تريد ان تراه امامها ! وان تلمس يده ، وان ترى شخصه . لتعلم هل شكله مطابق لما تصورت ؟ ولترى هل هو ذلك الانسان العاطفي المثالي الذي كونته في فى افكارها وامنت به واحست بالراحة بل بالنشوة عند تخيله ؟ لذا لم تتردد في ان تطلب اليه ذلك . وبعد ان اوضحت له موقع منزلها ، وشكله ورقمه ، اوضح هو لها شكله ولباسه ، واخبرها انه سيحمل في يده اليمنى وردة حمراء

وجلست في الشرفة تنتظره بلهفة وشوق ، حتى رأت رجلا يتقدم ! فادركت انه هو ، قبل ان تميز تلك العلامات التي اتفقا عليه وما ان اقترب حتى اخذ قلبها يخفق بشدة ! واحست بالحرارة تدب في اوصالها اذ رأت

فى يده اليمنى وردة حمراء !. أهذا هو ؟ انه جميل كروحه ، فتى كموسيقاه انه هو ، هو ذلك الانسان الذي تصورته وامنت به ، واحست بالراحة بل بالنشوة عند تخيله ! ووقف هو امامها باسماً ، بعد ان حياها بأيماءة رشيقة من رأسه ، فابتسمت ! وهكذا تم تعارفهما ..

وانتقل موضع اللقاء الثاني من المنزل الى احدى الحدائق العامة .

وعندما طلب منها قبلة امتنعت لأن فمها كان لا يزال نقياً لم يمسه فم آخر وكان يحدثها عن نفسه ، وعن فنه وكان يعلمها ما خفى عنها من الموسيقى فاذا بها شديدة الاعجاب به ، كثيرة التعلق بحبه .. فقد كان يظهر لها رجلا لا كالرجال ، اذ قد خصته الطبيعة بتلك الشعلة المقدسة ، شعلة الابداع ، شعلة الفن .

وبعد ايام وجدت نفسها تفنى في حبه ، وشخصيتها تتلاشى فى شخصيته فلم تتردد في ان تمنحه ما طلب ، فان فمها سيبقى نقياً اذا ما التصق بفمه الطاهر الذي بدا لها أنقى من فمها واطهر .

ما أعذب ايام الحب ، وما أحلى ساعاتها ، فهذه العواطف وهذه الاحلام بل وهذه الاماني والآمال . هي التى ترتفع بالقلب بعد ان تملأ جوانحه با مال شعرية رائعة . هذه هى الحياة ! بل هذه هي الحياة المثلى ! ومن لم تصادفها مثل هذه الايام فهي جديرة بالرثاء والعطف ، بالرحمة والشفقة ! ولكن أهناك من لم تصادف مثل هذه الايام ؟ أهناك من لم يخفق قلبها بالحب ؟ أهناك من لم تتفجر نفسها بفيض من نشوة سرمدية عميقة ؟ لو ان فى حياة المرء سعادة ، فهي فى تلك الفترة من حياته ، تلك الفترة الحالمة الناعمة التى يحس فيها باقترابه نحو الذات العظمى . والتي يشعر فيها تجاه الدنيا باسرها بحنين ما بعده من حنين ، وبحب ما بعده من حب ، آنذاك لا يتردد فى ان يرفع رأسه الى السماء فيبتهل الى الله شاكراً تلك السعادة .

وهكذا كانت لمياء !!

فقد رفعت رأسها الى السماء ! لا مرة بل مرات ! وتوجهت الى الله بكل قلبها وبكل مشاعرها .. غير ان هذا لم يجدها شيئاً ! ولم يغير خطوط تلك الصورة التي رسمت بها الطبيعة حياتها ، قبل ان تلد ! فالطبيعة تسير وتسير على اهوائها وعلى خطتها ، لا يردعها ان توسلت لمياء ، او أبتهلت عاشقة ..

فبعد ان تمت خطبتهما غاب عنها ، لا ، لم يخنها ! لم يهجرها ! لم يتركها تندب حظها العاثر للنكود ! غير انه ذهب على صورة اخرى .. ففي ليلة ممطرة عابسة غاضبة ، كان للريح صوتاً مرعباً مخيفاً . وكان هو عائداً الى منزله ، بعد ان فارقها . وعلى جانبي طريقه كانت بيوت متهدمة ، قد اكل الدهر عليها وشرب فلم يبق منها الا بعض الجدران للتهالكة . فليس عجيباً ان ترتطم الريح باحدى هذه الجدران فتصرعه ارضاً . وتقضي عليه ! ولكن العجيب هو ان يتهالك هذا الجدار على الوسيقار نبيل حمدي فيصرعه ارضاً ويقضي عليه !

.. وانتبهت لمياء الى نفسها ورفعت رأسها وأخذت تجفف آثار الدموع التي كانت قد بللت وجهها ونحرها ومنديلها الابيض . غير ان شيئاً واحداً عزاها بعض العزاء .. هو ذلك للذياع الذي كان قد انتهى من « اغنية الحب » منذ وقت طويل ..!!

جدول الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
آداؤه	اداؤه	٧	١
سثوات	سنوات	٧	١٩
هذا	هذه	٨	١١
شباب	شاب	٩	١
ادبائه	ادباؤه	٩	٥
تناجهم	نتاجهم	٩	٥
تصدع	تصدح	١٠	٦
تفاقها	تفارقها	١٠	١٢
غريبة	غريبة	١٠	١٧
نفس	نفسي	١٤	١٢
اذ	اذا	١٤	١٩
وصفتا	وصفته	١٦	٤
ناذرة	نادرة	١٧	١٢
سجلتها	سجلته	١٧	٧١
فأحبيت	فأحببت	١٧	٢٣
أفأتصور	فأتصور	١٩	٦
اذ	اذا	٢٠	٣
وصلتا	وصلنا	٢٠	١٥
كأن	كان	٢٣	٤
للثانى	للتأني	٢٩	٦
صدافة	صداقة	٣٧	١٨

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
كخامة	كخادمة	٤٠	١٤
تجيبها	تحيبها	٤٧	١٢
يلمتع	يلتمع	٤٨	١
فقد	قد	٤٩	٣
ولكن	ولكني	٥٥	٤
تعطر	تعطرت	٦٠	١٠
المدير	المديرة	٦٧	٣
بكلام	بكلمات	٦٧	١٣
يلتفت	يلتفتون	٦٧	١٧
هو	هذه	٦٩	١٦
فارتكبت	فارتبكت	٧٦	٣
استأذن	استئذان	٧٦	٤

للمؤلف

سهاد البريئة	مجموعة قصص
دموع عذراء	« «

تحت الطبع

عيام	قصة عراقية
آهات وزفرات	شعر منثور
من وحي الليالي	مجموعة قصص

للمراسلات : ص.ب آ آ — ٣٦ كريمات — بغداد

جورج ،كارنيك
دموع العذراء: قصص
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES

American University of Beirut

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866

General Library

892.78
G348dA
C.1